فتنة المال في ضوء القرآن الكريم
دراسة موضوعية

بحثٌ مُقدَّمٌ إلى

المُؤتمَرِ الدَّوليّ الأوَّل لكليَّةِ أُصول الدِّين والدَّعوةِ بالمنصورة

بعنوان

التَّدابير الشَّرعيَّة والعَمَليَّة في مُواجهة مَوجةِ الغلاءِ العالميَّة

الأحد ٣ مارس ٢٠٢٤ م

إعداد

الأستاذ الدكتور / محمد حامد حسن عطية

الأستاذ المساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن

بكلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة

ملخص البحث باللغة العربية

فتنة المال في ضوء القرآن الكريم دراسة موضوعية

محمد حامد حسن عطية

قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية أصول الدين والدعوة، جامعة الأزهر، المنصورة، مصر.

البريد الإلكتروني: hmohammed16@azhar.edu.eg

الملخص:

حاول هذا البحث أن يسلط الضوء على المال من حيث كونه فتنة، فبيَّن كيف يعدُّ المال فتنة مع وصفه بأنه خير وزينة، واعتنى ببيان أوجه الفتنة بالمال، وأحوال الناس فيها، وعرض لأبرز السلبية للافتتان بالمال في ضوء القرآن الكريم، وكان للبحث اعتناء بتحرير بعض المسائل المهمة في دراسة هذا الموضوع كتحرير مفهوم الفتنة، والمقصود بها في حق المال، كما كان فيه تأملات في الآيات الصريحة في التحذير من فتنة المال.

وممَّا عمد البحث إلى تجليته بيان منهج القرآن الكرين في الحديث عن فتنة المال والتحذير منها وفيه اثنا عشر معلمًا.

وأسفر البحث عن نتائج منها: أن الفتنة بالمال متنوعة، فمنها الفتنة به عند وجوده أو فقده، والفتنة به عند اكتسابه وعند إنفاقه، وأنها تقع للغني والفقير، وفي كل منها واجب على العبد ليسلم من الافتتان، وآثاره. والله ولي التوفيق

الكلمات المفتاحية: فتنة، المال، دراسة موضوعية، منهج، افتتان، منهج.

ملخص البحث باللغة الإنجليزية

The sedition of money in the light of the Noble Qur'an – an objective study

Mohamed Hamid Hassan Attia
Department of Interpretation and Quranic Sciences, Faculty of Fundamentals of Religion and Da'wah, Al – Azhar University, Mansoura, Egypt.
Email: hmohammed16@azhar.edu.eg

Summary:

This research tried to shed light on money in terms of being sedition, showed how money is sedition with its description as good and adornment, and took care of the statement of aspects of sedition with money, and the conditions of people in it, and the presentation of the most prominent negative infatuation with money in the light of the Holy Qur'an, and the research was taking care of editing some important issues in the study of this topic such as editing the concept of sedition, and intended in the right of money, as it was reflections on the explicit verses in warning of the sedition of money.

The research was manifested in the statement of the approach of the Qur'an in talking about the fitna of money and warning against it, in which twelve teachers .

The search resulted in results, including: that the sedition with money is diverse, including sedition when it exists or loses it, and sedition when it is acquired and when spending, and that it falls to the rich and the poor, and in each of them it is a duty on the slave to be safe from infatuation, and its effects. God is the guardian of success

Keywords: fitna, money, objective study, methodology, infatuation, method.

مقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد: فيعيشُ العالمُ اليوم محنةً اقتصاديةً كبيرة، يَئِنُّ منها تحت وطْأة هذا الغلاء المتزايد، ويسعى الناس على اختلاف مشاربِهم إلى الخروج من هذه الكُرْبة، ويغيب عن كثيرٍ منهم أنَّ في العودةِ الصادقةِ إلى تعاليم الدينِ المخرجَ الناجعَ من ذلك الذي أحدقَ بهم.

وقد قال قوم سيدنا شعيب - عليه السلام - له مستنكرين عليه: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ {سورة هود: ٨٧}.

فهم لفرط جهلهم يستنكرون أن تكون لصلاة سيدنا شعيبٍ - عليه السلام - ودينه صلةٌ بالتصرف في أموالهم كسبًا وإنفاقًا، وأمَّا المؤمنون فلا يخفى عليهم وجه الصلة.

والحق أنَّ دين الإسلام قد أولى المال عنايةً كبيرة، فجعل حفظه من الضروريات التي عليها مدارُ الشريعة ومقاصدها، ومع ذلك فإنه حذَّر من الافتتان به؛ لأنه كما ينفع صاحبه فقد يضره، ولا يرتاب المتأمل في واقع الناس اليوم أن فتنة المال على اختلاف صورها لهي من أكبر أسباب هذه الأزمة، وأن الناس في حاجة ملحة إلى تحذيرهم منها، وتبصيرهم بمداخلها.

ولهذا فقد اخترت الكتابة في هذا الموضوع **«فتنةُ المالِ في ضوءِ القرآنِ الكريمِ دراسةٌ موضوعية»**؛ للمشاركة به ضمن أعمال المؤتمر العلمي الدولي الأوَّل الذي تقيمه كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة، وعنوانه: «التدابير الشرعية والعملية في مواجهة موجة الغلاء العالمية».

وترجع أسبابُ اختيار هذا الموضوع، وأهميتُه إلى ما يأتي:

١ - فتنة المال من أخطر الفتن وأعَمِّها؛ لأنها تَعرض للفقير وللغني، وللإنسان في كسبه وإنفاقه.

وقد قال النبيﷺ «إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً وَفِتْنَةُ أُمَّتِي المَالُ»(١).

٢ - فتنة المال من أكبر أسباب المحن الاقتصادية التي يعانيها الناس في حياتهم.

٣ - تبصير الأمة بأوجه فتنة المال؛ لنعرف من أي الجهات تصيبنا تلك الفتنة.

٤ - وجود التباس عند كثير من الناس في تحديد المقصود بفتنة المال، فضلًا عن صورها.

٥ - الوقوف على معالم المنهج القرآني في الحديث عن هذه الفتنة؛ للإفادة منها في مواجهتها.

٦ - الاطلاع على آفات هذه الفتنة على الإنسان؛ للحذر منها.

۞ مشكلة البحث:

يعالج هذا البحث مشكلة بحثية يرجى للبحث أن يعالجها، ويكشف اللثام عنها، ويمكن تصويرها من خلال طرح جملة من الأسئلة، لعل من أبرزها:

١ - كيف نجمع بين وصف المال بأنه فتنة، ووصفه بأنه نعمة وخير وزينة؟

٢ - ما المراد بفتنة المال، وما أوجه الفتنة به في ضوء القرآن الكريم، وما أحوال الناس فيها؟

٣ - ما آفات الافتتان بالمال في ضوء القرآن الكريم؟

۞ حدود البحث:

لهذا البحث ثلاثة حدود، يمكن بيانها على النحو الآتي:

١ - البحث عن فتنة المال، وهذا أَخَصُّ من الحديث عن المال وأحكامه ومتعلقاته.

٢ - مدار البحث على القرآن الكريم، وأَستَشْهِدُ من السنة النبوية بما يزيد الأمر إيضاحا.

٣ - دراستي موضوعية تهدف إلى جمع ما تفرَّق في هذا الموضوع؛ للوقوف على حقيقة هذه الفتنة، وأوجهها، وآثارها، دون قصد إلى تفصيل القول في كل آية، أو قصة في هذا الباب.

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، من حديث كعب بن عياض، ﷺ (٥٦٩/٤ حديث ٢٣٣٦)، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح غريب...».

الدراسات السابقة:

توجد مؤلفات ودراسات كثيرة تتعلق بالمال قديما وحديثا؛ كالأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ)، ولابن زنجويه (ت ٢٥١هـ)، وإصلاح المال لابن أبي الدنيا (ت٢٨١هـ)، وغير ذلك من البحوث والكتب، **بيد أن الذي أرجو أن يضيفه هذا البحث:**

١ – التركيز على الحديث عن فتنة المال، ودراستها دراسة موضوعية تضم النظير إلى نظيره في الاستدلال، واستخراج الفوائد، والآثار، وليس عن طريق دراسة كل موقف أو قصة بانفراد.

٢ – تحرير القول في مسائل تشعبت فيها الأقوال، وتعددت فيها الأوجه والآراء من أبرزها:

أ – بيان معنى الفتنة في اللغة، وما يعدُّ حقيقة أو مجازا من معانيها، مع بيان العلاقة.

ب – بيان ما يصلح أن يكون من أوجه استعمالها في القرآن الكريم بانفراد، وما هو مندرج في وجه آخر، وفي ذلك بيان المنهج الأمثل في دراسة الوجوه والنظائر، ورفع التباس شائع في هذا الباب.

ج – تحرير المقصود بفتنة المال بعد ذكر آراء المفسرين، مراعيا في ذلك قواعد الترجيح عندهم.

٣ – بيان أوجه فتنة المال، وقد أفدت في تقسيم هذه الأوجه تنظيرا من تقسيم حجة الإسلام أبي حامد الغزالي رحمه الله؛ لأنها شاملة بحسب استقرائي لآيات فتنة المال في القرآن الكريم.

خطة البحث:

ينقسم البحث إلى: مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة:

مقدمة: تشتمل على أسباب اختيار الموضوع، وبيان أهميته، ومشكلة البحث، وحدوده، والدراسات السابقة، وخطته، ومنهجه، وطريقة العمل فيه.

التمهيد: تعريف المال، وبيان أوصافه، وموضع المدح والذم فيه في ضوء القرآن الكريم.

المبحث الأول: فتنة المال، مفهومها، ومعالم المنهج القرآني في الحديث عنها.

المطلب الأول: الفتنة في اللغة، وفي الاستعمال القرآني.

المطلب الثاني: تحرير المقال في مفهوم فتنة المال.

المطلب الثالث: معالم المنهج القرآني في الحديث عن فتنة المال.

المبحث الثاني: أوجه الفتنة بالمال، وآثارها على الإنسان في ضوء القرآن.

المطلب الأول: فتنة المال عند وجوده وفقده (فتنة الغنى والفقر) وآثارها.

المطلب الثاني: فتنة المال من جهة كسبه وإنفاقه وآثار ها.

المنهج المتبع في البحث:

تقتضي طبيعة هذا البحث الاعتماد على جملة من المناهج، وهي:

١ – **المنهج الاستقرائي:** أفدت منه في جمع المادة العلمية، كما أفدت منه في الترجيح في بعض المسائل التي كان التعويل فيها على طريقة القرآن المطردة أو الغالبة في استعماله.

٢ – **المنهج الوصفي:** وقد أفدت منه في توصيف فتنة المال، وأوجهها، وآثارها.

٣ – **المنهج التحليلي النقدي:** وقد أفدت منه في تحليل كلام العلماء، والموازنة بينها، والترجيح.

٤ – **المنهج الاستنباطي:** وقد أفدت منه في إبراز معالم المنهج القرآني في الحديث عن فتنة المال.

وسرت في البحث وفق جملة من الإجراءات أذكر منها:

١ – عزو الآيات القرآنية إلى سورها، وتخريج الأحاديث النبوية من مصادرها، وبيان درجتها.

٢ – توثيق النقول من المصادر الأصيلة، ووضع ما نقلته دون تصرف بين علامتي تنصيص، مع عزوه لصاحبه في الحاشية، فإذا تصرفت أو هذبت اكتفيت بالإحالة عليه بقولي: " ينظر"

٣ – الاكتفاء باسم الكتاب والمؤَلِّف، وإرجاء التفاصيل الأخرى إلى كشاف المصادر.

وأسأل الله ﷻ أن يحفظ بلادنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يوفقنا لما يحب ويرضى.

تمهيد

مِنَ المناسبِ بين يدي الحديث عن فتنة المال أن أمهِّد بتعريف المال، وبيان أبرز أوصافه، وتحديد موضع المدح والذم منه في ضوء القرآن الكريم، ودونك البيان:

أولاً: المال في اللغة والاصطلاح.

١ – المال في اللغة: أصله «مَوِل» انقلبت واوه ألفًا؛ لتحرُّكِها، وانفتاح ما قبلها[١]، وقد اكتفى عدد من علماء اللغة في تعريف المال بقولهم: « معروف»؛[٢]لاشتهاره عند عامة الناس، واضطرارهم إليه. وعرفه بعضهم بأنه: «مَا مَلَكْتَه مِنْ كل شيء»[٣].

قال ابن الأثير: «المال في الأصل: ما يُملك من الذهب والفضة، ثم أطلق على كل ما يقتنى ويملك من الأعيان، وأكثر ما يطلق المال عند العرب على الإبل؛ لأنها كانت أكثرَ أموالِهم»[٤].

وقال الراغبُ: " والمَالُ سُمِّي بذلك؛ لكونه مائِلًا أبدا وزَائلًا؛ ولذلك سُمِّي عَرَضًا»[٥].

٢ – **المال اصطلاحا:** للفقهاء عنايةٌ فائقة بالمال؛ لتعلقه بالأحكام الشرعية لا سيَّما المعاملات، ولهم في تعريفه مذاهب متعددة محلها كتب الفقه، ويكفينا هنا ذكر طرفٍ مما قيل في تعريفه:

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده- حرف اللام- مقلوب اللام والميم والواو- (٤٤٠/١٠) .

(٢) ينظر: العين للخليل- باب اللام- باب الثلاثي المعتل من اللام- مادة: مول (٣٤٤/٨)، والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري- باب اللام- فصل الميم- مادة: مول (١٨٢١/٥) .

(٣) القاموس المحيط للفيروز آبادي- باب اللام- فصل الميم صـ١٠٥٩، وينظر أيضا: لسان العرب لابن منظور- حرف اللام- فصل الميم- مادة-مول (٦٣٥/١١) .

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٣٧٣/٤) .

(٥) المفردات في غريب القرآن صـ٧٨٤ واعترض عليه بأن المال من مادة" مول"، وليس" مَيَل" التي تدل على أنه يميل من هذا إلى ذاك، وأجيب بأن هذا محمول على الاشتراك في الاشتقاق الأكبر وهو مما يراعيه علماء اللغة. ينظر: عمدة الحفاظ للسمين الحلبي (١٢٦/٤) .

١ - «كل ما يُمكن الانتفاع به ممَّا أباح الشرع الانتفاع به»[١].

٢ - «كل ما يَملِكُه الفردُ، أو تملكه الجماعة من متاعٍ، أو عروضِ تجارةٍ أو عقارٍ، أو نقود، أو حيوان»[٢].

٣ - كلُّ ما يمكنُ حيازته والانتفاع به على وجهٍ شرعي. وبناء على هذا التعريف فالمال ما توفر فيه شرطان أحدهما: إمكان حيازته، والآخر: إمكان الانتفاع به على وجه معتاد شرعا، وبهذا يُعلم أن ما لا يصح الانتفاع به شرعا لا يعد مالا كالخمر، وإن عده الناس مالا[٣].

ثانيًا: المال في استعمال القرآن الكريم.

وردت كلمة: «مَال» التي أصلها «مَوِل»[٤] بصيغة الإفراد في خمسة وعشرين موضعًا، وبصيغة الجمع «أموال» في أحد وستين موضعًا؛ فذكر المال في القرآن الكريم صراحةً، جاء في ستة وثمانين موضعًا.

والناظر في استعمال القرآن الكريم للمال يجد أنه استعمله فيما يملكه الإنسان، وينتفع به.

قال د. محمد جبل: «وكل ما في القرآن من التركيب هو (المال) المملوك»[٥].

ويلاحظ في هذه المواضع:

---

(١) معجم لغة الفقهاء-محمد رواس قلعجي - حامد قنيبي صـ٣٩٦، وينظر الأم للإمام الشافعي (٦٣/٥) .

(٢) القاموس الفقهي، سعدي أبو حبيب صـ٣٤٤. وينظر: الموافقات، للشاطبي (٣٢/٢) .

(٣) ينظر: طرق وآفاق استثمار الأموال في الوطن العربي والإسلامي، د. نصر فريد واصل.

(٤) احترازا من «مَالِ» المركبة من «ما» الاستفهامية، و«اللام» في مثل قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ {سورة الفرقان: ٧} فإنها ليست من هذا الباب كما لا يخفى؛ فلا تدخل في العدِّ.

(٥) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (٢١٠٩/٤) .

١ - أن اللهَ سبحانه قد أضاف الأموال إلى الناس في أكثر هذه المواضع؛ لأنهم المنتفعون بها المتصرفون فيها بإذن الله، أو من باب المدح والثناء عليهم حين أنفقوها في سبيل الله.

كقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ {سورة البقرة: ٢٦١}.

وأضاف المال إليه تصريحا في قوله تعالى: ﴿وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ {سورة النور: ٣٣} لأنه المالك الحقيقي له ولكل شيء، وليحثهم على الإنفاق والإحسان.

قال الإمام الرازي عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ {سورة الذاريات: ١٩}: «أضاف المال إليهم، وقال في مواضع: ﴿أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ {سورة يس: ٤٧}، وقال: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ { سورة البقرة: ٣} سببه: أنَّ في تلك المواضع كان الذِّكرُ للحثّ، فذكر معه ما يدفع الحث ويرفع المانع، فقال هو رزقُ الله، والله يرزقكم فلا تخافوا الفقر وأعطوا، وأمَّا هاهنا فمدحٌ على ما فعلوه فلم يكن إلى الحث حاجة»[(١)].

وقال العلامة أبو السعود: «وإضافة المال إليه تعالى، ووصفه بإيتائه إياهم؛ للحث على الامتثال بالأمر بتحقيق المأمور به؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ {سورة الحديد: ٧} فإن ملاحظة وصول المال إليهم من جهته تعالى مع كونه هو المالك الحقيقي له من أقوى الدواعي إلى صرفه إلى الجهة المأمور بها»[(٢)].

٢ - في إضافة المال إلى أصناف من الناس، وتمييز مال كل صنف عن الآخر؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا

---

(١) مفاتيح الغيب، لفخر الدين الرازي (١٦٩/٢٨) . وينظر أيضا: (٤٩٤/٩) .

(٢) إرشاد العقل السليم لأبي السعود (١٧٣/٦)

كَبِيرًا﴾ {سورة النساء: ٢} دليلٌ على احترام الملكية الخاصة، وحقوق الأفراد في المال، وفي جعل بعض الناس مُعطِيا منفقا، والفريق الآخر مُعطًى آخذا، دليلٌ على لزوم نفع الناس بعضهم لبعض في الأموال، وعدم الاستئثار بها، وذلك بما أوجبه الله من زكاة، وحثَّ عليه من صدقة.

ومن لطيف ما يذكر في هذا المقام، ويدلك على كمال شريعة الإسلام فيما يتعلق بالأموال، قولُهُ تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ {سورة النساء: ٥} فإنَّ ظاهر الآية الكريمة نهيٌ لنا عن إيتاء السفهاء أموالنا، وكثير من المفسرين يرون أن الأموال في هذه الآية أموال السفهاء أنفسهم، لكنها أضيفت إلى الناس؛ فأريد بهم أولياء السفهاء؛ لأن الأموال في أيديهم، أو على اعتبار أن أموال السفهاء من نوع أموالهم، وإن لم تكن أموالهم حقيقة، أو لأن السفهاء من نوع المخاطبين فكأن أموال السفهاء أموالهم.

وأجمل من هذا توجيها، وأدق منه نظرا، وأعمق تدبرا ما ذكره العلامة ابن عاشور إذ قال: «وأضيفت الأموال إلى ضمير المخاطبين بـ «يا أيها الناس» إشارة بديعة إلى أن المال الرائج بين الناس هو حق لمالكيه المختصين به في ظاهر الأمر، ولكنه عند التأمل تلوح فيه حقوق الأمة جمعاء؛ لأن في حصوله منفعةً للأمة كلها، لأن ما في أيدي بعض أفرادها من الثروة يعود إلى الجميع بالصالحة، فمن تلك الأموال ينفق أربابها، ويستأجرون، ويشترون، ويتصدقون، ثم تورث عنهم إذا ماتوا؛ فينتقل المال بذلك من يد إلى غيرها؛ فينتفع العاجز، والعامل، والتاجر، والفقير، وذو الكفاف، ومتى قلت الأموال من أيدي الناس تقاربوا في الحاجة والخصاصة؛ فأصبحوا في ضنك وبؤس، واحتاجوا إلى قبيلة أو أمة أخرى، وذلك من أسباب ابتزاز عزهم، وامتلاك بلادهم، وتصيير منافعهم لخدمة غيرهم؛ فلأجل هاته الحكمة أضاف الله تعالى الأموال إلى جميع المخاطبين؛

ليكون لهم الحق في إقامة الأحكام التي تحفظ الأموال والثروة العامة. وهذه إشارة لا أحسب أن حكيما من حكماء الاقتصاد سبق القرآنَ إلى بيانها»[١].

ثالثًا: أوصاف المال، ودلالتها في القرآن الكريم.

وُصف المال في القرآن الكريم بأوصاف متنوعة، ولكل وصف منها دلالته التي لا تتعارض مع بقية الأوصاف، وإليك أبرز تلك الأوصاف، وأشهرها مع التنبيه على أن كلمة الوصف هنا أعم من الوصف النحوي؛ فيدخل فيه ما أخبرنا الله به عن المال سواء وقع صفة أم خبرا أم حالا، ويلحق به أيضا ما وضع موضع المال في الذكر لملمح خاص.

١ - وصف المال بأنه زينة الحياة الدنيا.

أخبرنا الله - تقدَّس اسمه - عن المال بأنه زينة الحياة الدنيا؛ وذلك في قوله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ { سورة الكهف: ٤٦}.

ومن هذا الباب ما جاء في قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ {سورة آل عمران: ١٤} والذهب والفضة، والخيل المسومة، والأنعام، والحرث من المال.

والمال والبنون زينة الحياة الدنيا؛ «**لأنَّ في المال جمالاً ونفعًا، وفي البنين قوة ودفعًا**»[٢].

والزينة في الأصل: ما يكون «في الشيء من المحاسن التي تُرغِّب الناظرين في اقتنائه»[٣].

والمال منه ما هو زينة في نفسه؛ كالذهب والفضة، ومنه ما هو سبب في الحصول على الزينة؛ كالنقود.

---

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٤/٢٣٤-٢٣٥).

(٢) النكت والعيون، للماوردي (٣/٣١٠).

(٣) التحرير والتنوير (٣/١٧٩).

والتعبير بالزينة؛ أي: «يتزين بها الإنسان في دنياه، وتفنى عنه عما قريب»[١].

ومن أسرار التعبير بالزينة في مقابلة الباقيات الصالحات، الدلالة على أنه في الأصل متاع زائل وعرضٌ فانٍ؛ ولذا قدَّم الباقيات على الصالحات مع أن الصالحات أشهر في وصف الأعمال، وهو الموصوف المقدَّر؛ إذ التقدير: «والأعمال الباقيات الصالحات» فجاء على غير مقتضى الظاهر «فقدم (الباقيات)؛ للتنبيه على أن ما ذكر قبله إنما كان مفضولا؛ لأنه ليس بباق، وهو المال والبنون؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾ {الرعد: ٢٦}، فكان هذا التقديم قاضيا لحق الإيجاز؛ لإغنائه عن كلام محذوف، تقديره: أن ذلك زائل، أو ما هو بباق، والباقيات من الصالحات خير منه»[٢]. **ويلاحظ أن الله قدَّم المال** في آية سورة الكهف، وأخَّر أصناف المال عن النساء والبنين في آل عمران، والقاعدة العامة في التقديم والتأخير أنه يقدم الأهم في الذكر، وفي آية آل عمران حديث عن حب الشهوات، ولا شك أن النساء والبنين أحب إلى الإنسان؛ فإنه يضحي بالمال من أجلهما، وأما آية الكهف فهي باعتبار طلب الإنسان واحتياجه، فإنه إلى المال أحوج؛ لافتقاره إليه من أجل الزواج، واحتياجه إليه ولو لم يكن هناك نساء ولا أولاد.

قال الأستاذ عبد الكريم الخطيب: «وقدم المال على البنين؛ لأنه المطلب الأول للإنسان، فكل إنسان طالب للمال، وليس كل إنسان طالبًا للولد... فكثير من الناس لا يطلبون الأولاد، بل يعيشون بغير سكن إلى زوجة، ولكنهم جميعا لا يستغنون عن طلب المال... ومع هذا فإنه إذا حصل الإنسان على الولد، تعلق قلبه به، وكان الولد عنده مقدّما على المال»[٣].

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (٣/٢٨٣) .

(٢) التحرير والتنوير (١٥/٣٣٣) .

(٣) التفسير القرآني للقرآن (٨/٦٢٧) .

٢ - وصف المال بأنه قوام الحياة.

جاء الإخبار عن المال بذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ {سورة النساء: ٥}.

وكلمة: «قِياما» فيها قراءتان متواترتان: «قِياما» بإثبات الألف و «قِيَما» بغير ألف[(١)].

و «قِياما» أصلها «قِواما» قلبت الواو ياء؛ مناسبة للكسرة قبلها، و«لأنه مصدر قد اعتل فعله، فاتّبع الفعل في الإعلال»[(٢)] كالصيام ونحوه مما قلبت فيه الواو ياء.

ومعنى «قياما»؛ أي: ما تقوم به معايشكم ومنافعكم، وقراءة «قِيَما» بوزن «فِعَل» بمعناها أيضًا، ويكون الإخبار عن الأموال بهما من باب الإخبار بالمصدر للمبالغة. وقيل: جمع «قِيمة»؛ أي: التي جعلها الله «قيما»؛ أي: أثمانا للأشياء. ورُجِّح الأول؛ لأن هذا المعنى «ليس فيه إيذان بالمعنى الجليل المتقدم»[(٣)] الذي هو قوام العيش، وتحصيل المنافع.

و«معنى جعل الأموال قياما للناس، أن بها تقوم وتثبت منافعهم ومرافقهم، فمنافعهم الخاصة، ومصالحهم العامة لا تزال قائمة ثابتة مادامت أموالهم في أيدى الراشدين المقتصدين منهم الذين يحسنون تثميرها وتوفيرها، ولا يتجاوزون حدود المصلحة في الإنفاق، وفى هذا حث عظيم على الاقتصاد بذكر فوائده، وتنفير من الإسراف والتبذير ببيان مغبته، فإن الأموال إذا وقعت في أيدى

---

(١) قرأ الجمهور من القراء العشرة «قياما» بإثبات الألف، وقرأ نافع وابن عامر «قِيَما» بدون ألف، ينظر: النشر في القراءات العشر، لابن الجزري (٢/٢٤٧).

(٢) التفسير البسيط، للواحدي (٦/٣٢٤).

(٣) التحرير والتنوير (٤/٢٣٦).

السفهاء المسرفين فات ما كان من تلك المنافع قائما، ومن ثم وصف الله المؤمنين بقوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ {سورة الفرقان: ٦٧}"[١].

" وفى قوله تعالى: ﴿الَّتِي جَعَلَ اللهُ لَكُمْ قِياماً﴾ إشارة إلى ما للمال من شأن في الإسلام، وإلى النظرة التي ينظر بها إليه، وأنه قوام الحياة، وملاك عمرانها، ومبعث سلامة المجتمع وقوته! فالذين يتحدثون باسم الإسلام، مهوّنين من شأن المال، أو مستصغرين خطره، أو مستخفّين به وبأهله، إنما يفترون على الإسلام، وينطقون عنه زورا وبهتانا»[٢].

قال المناوي: «والمال في الأصل قوام العباد في أمر دينهم، فالحج ونحوه من الفروض لا يقوم إلا به، وعيش الحياة في الأبدان كذلك، وبه يتقي الأذى ويدفع الشدائد. قال الماوردي: وكان يقال الدراهم مراهم؛ لأنها تداوي كل جرح ويطيب بها كل صلح»[٣].

و«المال – في حقيقته – أداة من أدوات النفع، الخاص، والعام معا... هو قوة في يد صاحبه، يدفع به عن نفسه قسوة الحاجة، ولذعة الحرمان، ومطية يمتطيها إلى غايات كثيرة، يجنى منها الخير لنفسه، ولأهله. ثم هو – أي المال – حركة عاملة في المجتمع، تصبّ فيها جهود أصحاب المال، وتتلاقى على طريقها وجوههم التي يقصدون إليها في تثمير المال وتنميته! وفي صيانة هذه القوة من عوامل الوهن والضعف، وفي تنظيم هذه الحركة وإقامتها على طريق مستقيم – في هذا صيانة للفرد، وحياطة له من أن تضطرب حياته وتتعثر خطواته، وفي هذا أيضا صيانة للمجتمع، وحياطة لمواطن القوة منه، والحياة فيه...»[٤].

---

(١) تفسير المراغي (١٨٦/٤) .

(٢) التفسير القرآني (٧٠١/٢) .

(٣) فيض القدير (٤٢٥/١)، وعبارة الماوردي مذكورة في كتابه «أدب الدنيا والدين» صـ٢٢٠.

(٤) التفسير القرآني للقرآن (٧٠١/٢) .

٣ – المال نعمة.

يمكن أن يستفاد هذا الوصف مما أخبرنا الله به في قوله جلَّ ذكره: ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ {سورة الزمر: ٤٩}، وتقرير ذلك من مسلكين:

المسلك الأول: إذا اخترنا أن النعمة في الآية الكريمة عامة فإنه يدخل فيها نعمة المال؛ لأنها من أشهر النعم الدنيوية وأهمها، فيصلح الاستدلال لأن المال أحد أفراد العموم.

المسلك الثاني: مسلك الترجيح؛ وهو أن يقال: إن هناك ما يرجح أن المراد بالنعمة في الآية الكريمة المال، ويعضد ذلك عدة أوجه، أبرزها:

١ – قوله تعالى في الآية الكريمة: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ فإنه عاد الضمير بالتذكير باعتبار معنى النعمة لا لفظها؛ أي: الإنعام أو المال؛ فيكون المعنى: (قال إنما أوتيت هذا المال على علم) .

٢ – مشابهة هذا القول لقول قارون فيما ذكره الله عنه: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ {سورة القصص: ٧٨}ويكون هو المرادَ في قوله تعالى: ﴿قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ { سورة الزمر: ٥٠}

٣ – ذكر بسط الرزق وقبضه بعد ذكر النعمة يدل على أنها نعمة المال.

قال تعالى: ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٥٠) فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ (٥١) أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ {سورة الزمر: ٥٠ – ٥٢}.

٤ – قوله سبحانه في الآية الكريمة ﴿بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ﴾؛ أي: هذه النعمة نعمة المال فتنة، كما جاء مصرحا به في قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ {سورة الأنفال: ٢٨}.

قال القاضي ابن عطية الأندلسي: «والنعمة هنا عامة في جميع ما يسديه الله إلى العبد، فمن ذلك إزالة الضر المذكور، ومن ذلك الصحة والأمن **والمال، وتقوى الإشارة إليه في الآية** بقوله: ﴿إِنَّمَا

أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ﴾، وبقوله آخرا ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾، وبذكر الكسب، وكذلك الضمير في: ﴿أُوتِيتُهُ﴾ وذلك يحتمل وجوها، منها: أن يريد بالنعمة المال كما قدمناه...»[1].

ومن دلائل أن المال نعمة:

أ – ذكر المال في مواضع امتنان الله على خلقه وتذكيره إياهم بنعمه.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ (١٣٢) أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ (١٣٣) وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ {سورة الشعراء: ١٣٢ – ١٣٤} والأنعام والجنات والعيون من أصناف المال.

ب – ذكر المال في مقام الثواب والإنعام بسعة الأرزاق على الطاعة والاستغفار .

ومن أمثله ذلك قوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ { سورة نوح: ١٢}.

ج – التصريح بأن رزق الله لعباده نعمة تستوجب شكرا لا كفرا، والمال من أبواب الرزق كما لا يخفى؛ فَبِه يجلب الطعام والشراب والمسكن، وغير ذلك.

قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ {سورة النحل: ١١٢}.

٤ – المال فتنة.

أخبرنا الله سبحانه أنَّ المال فتنة، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ {سورة الأنفال: ٢٨}، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ {سورة التغابن: ١٥}.

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (٥٣٦/٤) . وينظر: البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي (٢١٠/٩) .

وللمفسرين أقوال كثيرة في تحديد المقصود بالفتنة في هاتين الآيتين الكريمتين، سيأتي مفصلا بإذن الله تعالى في المبحث الأول، والمناسب للمقام هنا أن نعلم أن أكثر المفسرين فسروا الفتنة في الآيتين بالابتلاء أو المحنة والاختبار.

ومعنى ذلك أن المال موضع للاختبار والابتلاء، وهذا جاء مصرحا به في مواضع أخرى من القرآن، منها قوله تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾ {سورة آل عمران: ١٨٦}.

وهذا يؤكد ما تقرر من أن المال نعمة، وكل نعمة أعطيها العبد فإنه يختبر فيها أيشكر أم يكفر، وإذا حرم منها فهو مبتلى أيصبر أم يجزع ويسخط؟

وقد فسر عبد الرحمن بن زيد الفتنة بقوله: «فتنة الاختبار، اختبارهم وقرأ قوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ {سورة الأنبياء: ٣٥}»،[١] ومراده أن المعنى: ونبلوكم بالشر والخير ابتلاء، ولذا قال ابن عاشور: «وفتنة منصوب على المفعولية المطلقة توكيدا لفعل نبلوكم؛ لأن الفتنة ترادف البلوى»[٢].

ولعلك على ذُكر مما سبق بيانه في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ { سورة الزمر: ٤٩} فهذا الإنسان لما لم يشكر النعمة، وينسبها إلى من أسداها إليه، بل تكبر وأعرض وقع في الفتنة.

وبهذا يتضح أنه لا منافاة بين الأمرين: كون المال نعمة، وكونه فتنة؛ فإن النعمة تخالطها الفتنة؛ أي: الاختبار، وكذلك فإننا إذا فهمنا أن التعبير بالفتنة جاء للدلالة على أن الأموال والأولاد سبب

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١٤٧/١١).

(٢) التحرير والتنوير (٦٥/١٧). وينظر: الكشاف عن حقائق التنزيل، للزمخشري (١١٦/٣).

الوقوع في الفتنة؛ أي: الذنب أو الإثم، فإن هذا حق من جهة أن العبد كثيرا ما يفتن بهما عن الطاعة ويتورط في المعصية، وهذا كله لا ينافي كون المال في الأصل نعمة من الله على عباده.

ولا منافاة أيضًا بين وصف المال بأنه زينة ووصفه بأنه فتنة؛ فإن الزينة اختبار وفتنة للعبد أيشكر أم يكفر؟ وقد أحسن الطيبي حين جعل الآيتين من النظائر في المعنى لا المختلفة كما قد يتوهم.

قال العلامة الطيبي رحمه الله: «فقوله: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾؛ أي: محنة من الله ليبلوكم، كقوله: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، وقوله: ﴿وَأَنَّ اللهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ {سورة الأنفال: ٢٨} كقوله: ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ {سورة الكهف: ٤٦}"

٥ – التعبير عن المال بالخير.

المتأمل في إيراد كلمة «الخير» في القرآن الكريم يجد أنها وردت في أكثر من موضع بمعنى المال، أو المال الكثير على رأي بعض المفسرين، وهذا له أسرار، منها ما هو عام، ومنها ما خاص بكل موضع ورد فيه هذا التعبير، ومن الأسرار العامة في هذا التعبير:

١ – أن «في التعبير عن المال بلفظ الخير – إشارة إلى أنه خير في ذاته، ولكنه قد يتحول في أيدى كثير من الناس إلى شر مستطير يحرق أهله»[(١)].

٢ – أن الخير «ما يرغب فيه الكلّ»[(٢)]، والمال مرغوب فيه من الجميع للغريزة التي ركبت فيهم؛ وهي حب المال.

---

(١) التفسير القرآني للقرآني (١٦٥٩/١٦) .

(٢) المفردات في غريب القرآن صـ٣٠٠.

٣ - «أن الناس يعدُّونه فيما بينهم خيرًا، وهذا كما أنه سبحانه سمى ما ينال المجاهد من الجراح وأذى الحرب سوءًا في قوله تعالى: ﴿لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾ {سورة آل عمران: ١٧٤} على ما يتعارفه الناس بينهم، لا على أنه سوء في العاقبة»(١).

وقال الألوسي: «وإطلاق كونه خيرًا باعتبار ما يراه الناس، وإلّا فمنه ما هو شرٌّ يوم القيامة»(٢).

ولعله لما كان في عرف الناس لا يقال: فلان ذو مال إلا إذا كان لديه مال كثير.

«قال بعض العلماء: لا يقال للمال خير حتى يكون كثيرا، ومن مكان طيّب»(٣).

قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ {البقرة: ١٨٠}.

قال الإمام الرازي: «لا خلاف أنه المال هاهنا، والخير يراد به المال في كثير من القرآن»(٤).

ومن الأسرار الخاصة في التعبير بالخير في هذا الموضع دون المال أن فيه: «إشارة لطيفة إلى أنه مال طيب لا خبيث، فإن الخبيث يجب رده إلى أربابه، ويأثم بالوصية فيه...»(٥).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (٦) وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ (٧) وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ {سورة العاديات: ٦ - ٨}} قال الماوردي: «والخير: المال في قول الجميع»(٦).

---

(١) التفسير البسيط للواحدي (٢٥٤/٢٤)، وأصله أثر مروي عن ابن زيد، أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٨٩/٢٤).

(٢) روح المعاني (٤٤٥/١٥).

(٣) المفردات في غريب القرآن صـ٣٠٠.

(٤) مفاتيح الغيب (٢٣١/٥).

(٥) البحر المحيط في التفسير (١٥٧/٢).

(٦) النكت والعيون (٢٣١/١). وينظر: التفسير البسيط أيضا (٢٥٤/٢٤).

وهكذا نجد أن القرآن الكريم قد حدثنا عن المال، وبيَّن لنا أهم أوصافه، ومن خلال ما سبق يتضح لنا أنَّ المال نعمة وخير، وبه قيام أمور العباد، وتحصيل منافعهم، وهو أيضا فتنة يختبر به العباد في وجوده وعند فقده، فمنهم من يشكر ويصبر، ومنهم من يجزع ويكفر.

ولعلك تدركُ بهذا أنَّ المال لا يذم لذاته، ولا يعاتب من أحبه؛ فإنَّ الإنسان قد جبل على ذلك.

و«ليس في كلام الله ولا في كلام رسوله ﷺ ما يطالب الإنسان بأن يقتلع هذه الخليقة من نفسه، وإنَّما جاء كلام رسول الله ﷺ؛ لتنظيمها، وتهذيبها، والتسامي بالنفس أن تمتلك من وجوه الحلال ما تمتلك، والشرط المطلوب هو عدم استشراف النفس، وكبح هذا الاستشراف إن وجد حتى تظل الثروة مملوكة لصاحبها، ولا تتحول الثروة لأن تملك صاحبها، فيدخل في تَعِس عبد الدينار وعبد الدرهم، المطلوب أن تسيطر النفس الإنسانية المتسامية فوق الشهوات والأهواء»(١).

موضع المدح والذم من المال:

إذا تقرر مما سبق أن المال في نفسه خير، ونعمة، وقوام لمعيشة الإنسان، وعون له على طاعة الرحمن، فليعلم أن هذا المال قد يكون ممدوحا، وقد يكون مذموما، وذلك بحسب الإنسان فإذا حصل عليه من وجه مباح، وأنفقه في وجه مباح فقد برئ المال من صفة الذم، ثم تتفاوت رتبته في المدح، كما لو أنفقه في واجب أو مندوب فإنه محمود، ومرغوب فيه، وإن حصل عليه الإنسان بطريق محرم، أو أنفقه في سبيل غير مشروع أو جمع بين الأمرين فهذا موضع الذم.

قال ابن عبد البر: **« المال المذموم عند أهل العلم هو المطلوب من غير وجهه والمأخوذ من غير حله** والآثار الواردة بذم المال... في هذا المعنى فوجه ذلك كله عند أهل العلم والفهم في المال المكتسب من الوجوه التي حرمها الله ولم يبحها، وفي كل مال لم يطع الله جامعه في كسبه، وعصى ربه من أجله وبسببه، واستعان به على معصية الله وغضبه، ولم يؤد حق الله وفرائضه فيه ومنه، فذلك

---

(١) شرح أحاديث من صحيح مسلم دراسة في سمت الكلام الأول، أ. د/ محمد أبو موسى صـ٣٣١.

هو المال المذموم، والكسب المشئوم، وأما إذا كان المال مكتسبا من وجه ما أباح الله، وتأدَّت منه حقوقه، وتقرب فيه إليه بالإنفاق في سبيله ومرضاته، فذلك المال محمود ممدوح كاسبه ومنفقه، لا خلاف بين العلماء في ذلك، ولا يخالف فيه إلا من جهل أمر الله، وقد أثنى الله تعالى على إنفاق المال في غير آية من كتابه، ومحال أن ينفق ما لا يكتسب... وما في القرآن من هذا المعنى كثير جدًا، وكذلك السنن الصحاح كلها تنطق بهذا المعنى، وهو الثابت عن الصحابة، والتابعين وفقهاء المسلمين»[1].

(١) جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر (٧١١/١) .

المبحث الأول: فتنة المال، مفهومها، ومعالم المنهج القرآني في الحديث عنها.

المطلب الأول: مفهوم فتنة المال.

أولاً: تحرير معنى الفتنة في اللغة.

الناظر فيما سطره علماء اللغة والغريب في معنى مادة «فتن» يجدُ أنهم قد اتفقوا على أنها تستعمل لمعنى الابتلاء والامتحان، ثم منهم من يجعل هذا أصلها، ومنهم من يجعل أصلها هو الإحراق وإدخال الذهب النار، ثم استعملت في معنى الاختبار بالجامع بينهما؛ إذ إن المقصود من عرض الذهب أو الفضة على النار تمييز الجيد من الرديء، وهذا هو الابتلاء والامتحان.

قال أبو منصور الأزهري (ت٣٧٠هـ): «**جماع معنى الفتنة في كلام العرب**: الابتلاء والامتحان، **وأصلها مأخوذ من قولك**: فتنتُ الفضة والذهبَ إذا أذبتَهما بالنار؛ ليتميز الرديء من الجيد»[(١)].

وقال ابن فارس: «الفاء والتاء والنون **أصل صحيح يدل على ابتلاء واختبار**، من ذلك الفتنة يقال: فَتَنْتُ أَفْتِنُ فَتْنًا. **وَفَتَنْتُ الذَّهَبَ بِالنَّارِ، إِذَا امْتَحنته**»[(٢)].

وقال الراغب الأصفاني: «**أصل الفَتْنِ**: إدخال الذّهب النار؛ لتظهر جودته من رداءته»[(٣)].

وذكر الزبيدي «الإحراق» في معاني الفتنة، وقال: «وجعل بعضهم هذا المعنى هو الأصل»[(٤)].

وبناء على ما تقدم فكلا المعنيين: الابتلاء، والإحراق حقيقي في استعمال كلمة الفتنة، فالإحراق روعي فيه الجانب المادي المحسوس، والاختبار روعي فيه الجانب المعنوي، أو أن استعمال الفتنة بمعنى الاختبار والامتحان والتمييز جزء معنى استعمالها بمعنى الإحراق أو

---

(١) تهذيب اللغة، لأبي منصور الأزهري- أبواب التاء والنون من الثلاثي الصحيح- مادة: «فتن» (٢١١/١٤) .

(٢) مقاييس اللغة، لابن فارس (٤٧٢/٤) - كتاب الفاء- بَابُ الْفَاءِ وَالتَّاءِ وَمَا يَثْلِثُهُمَا- مادة: «فتن» (٤٦٩/٤) .

(٣) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني صـ٦٢٤.

(٤) تاج العروس لمرتضى الزبيدي - باب النون - فصل الفاء مع النون - مادة: «فتن» (٤٨٩/٣٥) .

الذوبان؛ لأنه المقصود منه كما مرَّ في الذهب، وهذا ما تفطن إليه أ. د محمد حسن جبل حين قال بعد تقريره أن المعنى المحوري للفتن: «إذابة مادة باطن الشيء وتحويلها بإدخالها نارًا حامية... كما استعمل في تمحيص حقيقة ما في القلوب بتعريضها للشدائد، كما يُصْهَر الذهب أو الفضة؛ فيمتاز خَبَثُهما عن جوهرهما الخالص؛ أي: **أن هذا استعمال في جزء المعنى**».

وبهذا تعلم أن قول أ. د عبد العظيم المطعني: «استعيرت الفتنة للابتلاءات التي يمحص الله بها عباده؛ فتقوى إرادتهم ويعظم صبرهم ويوطئون»[١] محل تأمل؛ إذ لا ضرورة تلجئ إليه إذا قررنا أن الابتلاء أو الاختبار معنى حقيقي، وهو ما اعتمده عامة أهل اللغة كما رأيتَ، ومن المقرر أنه لا يحمل اللفظ على المجاز إلا عند تعذر حمله على الحقيقة.

ومن ثم فقد وجدنا من العلماء من صرح بأن تفسير الفتنة بالابتلاء والامتحان إطلاق حقيقي[٢].

وهناك معانٍ مجازية للفتنة سيأتي بيانها في استعمال الفتنة في القرآن الكريم.

ثانيًا: وجوه استعمال الفتنة في القرآن الكريم.

يذكر علماء الوجوه والنظائر أن كلمة الفتنة استعملت في القرآن الكريم على وجوه كثيرة، ذكر يحيى بن سلام منها أحد عشر وجها، وذكر ابن الجوزي خمسة عشر وجها؛ وهي: {الشرك، والكفر، والابتلاء والاختبار، والعذاب، والإحراق بالنار، والقتل، والصد، والضلال، والمعذرة، والعبرة، والجنون، والإثم، والعقوبة، والمرض، والقضاء}[٣].

وقد ذكر ابن العالم (ت ١٢١٢هـ) في منظومته «ألفية الغريب» أربعة عشر وجها منها، فقال:

---

(١) أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم، أ د. عبد العظيم المطعني (٢٢٠/٣) .

(٢) ينظر: المحرر الوجيز، لابن عطية (٢٧٨/٢)، وحاشية ابن التمجيد، لمصلح الدين الحنفي (٦٤/٩) .

(٣) ينظر: التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسماؤه وتصرفت معانيه صـ ١٧٩، ونزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر صـ ٤٧٨.

وأوجُـــهُ الفتنـــةِ الابـــتلاءُ والشـــركُ والآثـــامُ والقضـــاءُ
والقتـــلُ والعـــذابُ والإحـــراق والصـــرفُ أو معـــذرةٌ تُســـاق
وفي العقوبـــةِ والاغـــترارِ والخبْـــلِ والمـــرضِ والاعتبـــار[1]

وهي التي ذكرها ابن الجوزي، غير أنه لم يذكر الكفر؛ لاستغنائه عنه بذكر الشرك.

وعند التأمل تستطيع أن تَرُد كثيرًا من هذه الوجوه إلى بعض كما هي طريقة بعض المحققين.

والذي يظهر لي بعد استقراء مواضع هذه الكلمة في القرآن الكريم، وما ذكره علماء الوجوه والنظائر في شأنها أنه يمكن أن تُردَّ هذه الوجوه إلى ثلاثة أوجه:

١ – الفتنة بمعنى الإحراق أو العذاب، ويلحق بذلك ما ذكروه من وجه العقوبة.

٢ – الفتنة بمعنى الاختبار أو الابتلاء، وهذان الوجهان حقيقيان في معنى الفتنة.

٣ – الفتنة بمعنى الذنب على اختلافٍ في تحديده (الشرك، الكفر، الإثم، الضلال، وغير ذلك) .

وكلها أسباب للعذاب؛ فيكون إطلاق الفتنة عليها من قبيل المجاز المرسل، أطلقت الفتنة ومن معانيها الحقيقية الإحراق أو العذاب، وأريد السبب وهو الذنب؛ فالعلاقة هي المسببية.

قال أ. د/ محمد أبو موسى: «واستعملت الفتنة في العذاب حقيقة؛ لأن إدخال النار عذاب، ثم استعملت الفتنة مجازا في سبب العذاب من الإثم والشرك، واستعمال الفتنة في موجب العذاب استعمال مجازي ومشعر بقوة السببية»[2].

ويحتمل أيضا أن هذه الوجوه من آثار الاختبار؛ فإن الفتنة ترد على معنى الافتتان؛ أي: أنه أتى بالمكروه في الاختبار؛ من شرك وضلال، ويكون التعبير بالفتنة باعتبار ما آل إليه أمره.

---

(١) ألفية الغريب، لابن العالم صـ١٢٣.

(٢) من أسرار التعبير القرآني دراسة تحليلية لسورة الأحزاب صـ١٢٧.

قال ابن الأثير: «وقد كثر استعمالها فيما أخرجه الاختبار للمكروه، ثم كثر حتى استعمل بمعنى الإثم، والكفر...»[١]. وقال ابن رجب: «وغلب في العرف استعمال الفتنة في الوقوع فيما يسوء»[٢].

ومما هو جدير بالذكر هنا أن بعض الوجوه التي ذكرها علماء الوجوه والنظائر، فضلا عن كونها تندرج في هذه المعاني الجامعة لمعنى الفتنة، تفسيرها بما ذكروه ليس محل اتفاق بين المفسرين.

ومن الأمثلة على ذلك جعلهم الفتنة بمعنى «المرض»، وشاهدهم قوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ {سورة التوبة: ١٢٦}.

والحق أن الفتنة في هذه الآية فيها أوجه متعددة، ولك أن تعلم أن ابن الجوزي أحد الذين ذكروا هذا الوجه، لما تناول هذه الآية في تفسيره «زاد المسير» ذكر أن في الفتنة ثمانية أوجه، وعدَّ منها المرض، ولم يُرجِّح شيئًا[٣]، ولعل الأرجح في ذلك ما ذكره الإمام ابن جرير الطبري؛ فإنه قال: «ولا قول في ذلك أولى بالصواب من التسليم لظاهر قول الله وهو: أو لا يرون أنهم يختبرون في كل عام مرة أو مرتين، بما يكون زاجرا لهم، ثم لا ينزجرون ولا يتعظون؟ »[٤] فعاد إلى معنى الاختبار وهو المعنى الحقيقي والمشهور في معنى الفتنة، والمرض لون من ألوان الاختبارات فلا حاجة لإفراده بوجه، والله أعلم.

وقُلْ هذا أيضا في وجه الاعتبار أو العبرة وشاهده قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ {سورة: يونس: ٨٥}، وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ

---

(١) النهاية في غريب الحديث (٤١١/٣).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن رجب الحنبلي (٢٠٢/٤).

(٣) زاد المسير، لابن الجوزي (٣١٢/٢).

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٩٣/١٢).

أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ {سورة الممتحنة: ٥}. وقد ذكر ابن الجوزي في «زاد المسير» في معنى الفتنة ثلاثة أوجه لا تخرج عن معنيي الفتنة المشهورين: العذاب، أو الابتلاء وما يترتب عليه[١].

وقد قال الألوسي في بيان معناها: «أي موضع فتنةٍ وعذاب لهم؛ بأن تسلِّطَهم علينا فيعذبونا، أو يفتنونا عن ديننا، أو يُفتَنوا بنا ويقولوا: لو كان هؤلاء على الحق لما أصيبوا»[٢].

وبهذا تعلم أنه لا داعي لإفراد الاعتبار بوجه خاص يُظنُّ أنه مختلف عن معاني الفتنة الأصلية.

وقل هذا أيضًا في وجه الجنون وشاهده قوله تعالى: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ (٥) بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ﴾ {سورة القلم: ٥ - ٦} فإن تفسير المفتون بالمجنون ليس محل اتفاق بين المفسرين؛ فقد ذكر ابن الجوزي نفسه في «زاد المسير» أربعة أوجه، منها المعذب، وتقدم أن الفتنة حقيقة في معنى العذاب، ولما ذكر وجه المجنون قال: «والمعنى: الذي فتن بالجنون»[٣] فالتفسير بالجنون أو المجنون؛ لبيان وجه الابتلاء وقد كانوا يقولون: المجنون فتنته الجن «فالمفتون أطلق على المجنون؛ لأنه فتن أي مُحن بالجنون، وقيل لأن العرب يزعمون أن الجنون من تخبيل الجن»[٤].

وقيل معنى المفتون في الآية الكريمة: «هو الذي فُتن بنفسه، وغرّه الغرور، فرَكِبَ مَركب الفتن والضلال، وهو على ظنّ أو يقين بأنه أهدى سبيلا، وأقوم طريقا»[٥].

ويشهد لهذا والله أعلم قوله تعالى بعد ذلك ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ {سورة القلم: ٧} فهو ﷺ أعلم بمن ضل بهذه الفتنة وافتتن، ومن سلم منها.

---

(١) زاد المسير، لابن الجوزي (٣٤٤/٢).

(٢) روح المعاني، للألوسي (١٥٩/٦).

(٣) زاد المسير، لابن الجوزي (٣٢٠/٤).

(٤) روح المعاني (٢٩/١٥).

(٥) التفسير القرآني للقرآن (١٠٨٢/١٥).

ومال بعض المفسرين إلى تقديرٍ فيكون «المعنى: بِأَيِّكُمُ فتنة الْمَفْتُونُ، ثم حذف المضاف وأقيم ما أضيف إليه مقامه»[١].

وهكذا نرى أن هذه الأوجه مردها إلى معنى الفتنة العام [الابتلاء والعذاب أو الإحراق]، والأمر كذلك في الأوجه الأخرى، وهذه الطريقة أسلم وأعون للدارس من تكثير الوجوه عليه فيصعب ضبطها من جهة، وربما التبس عليه الأمر في الآيات التي ذكرت فيها الفتنة، ولم تُذكر عند العلماء في أمثلة هذه الوجوه، فلا يدري بأي وجه من هذه الوجوه الكثيرة تُلحَق، وعلى كلٍّ فهي وجهة نظر سبق إليها بعض العلماء؛ كالحكيم الترمذي في كتابه: «تحصيل نظائر القرآن»، وبعض المفسرين في بعض المواضع، لا في الحديث عن وجوه الفتنة بخصوصه؛ ومن هؤلاء ابن عطية الأندلسي إذ قال: «والهداية في اللغة الإرشاد، لكنها تتصرف على وجوه يعبر عنها المفسرون بغير لفظ الإرشاد، وكلها إذا تؤملت رجعت إلى الإرشاد»[٢]، وعقب الفيروز آبادي على كلامه بقوله: «وهو صحيح، ولم يذكر أَهل اللغة فيها إِلَّا أَنَّها بمعنى الإِرشاد، والأَصل عدمُ الاشتراك»[٣]. ومع ذلك فإن إمامنا ابن عطية لم يطبق هذا في الحديث عن معاني الفتنة، بل خالفه[٤]، وعلى كل حال فهي وجهة لها حظها من النظر، والحمد لله على ما وفق.

ومما هو جدير بالذكر هنا أن يُعلم أن ظهور هذه الوجوه في كتابات المتقدمين؛ كمقاتل، ويحيى بن سلام قصد منه تيسير تفسير هذه المواضع المتشابهة، والتمييز بينها، دون أن يقصدوا أن هذه الوجوه من قبيل المشترك اللفظي بالمعنى الأصولي الذي يعرف عند أهل الأصول كما قال

---

(١) المحرر الوجيز، لابن عطية (٣٤٦/٥) .

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٧٣/١) .

(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (٣١٢/٥) .

(٤) ينظر: المحرر الوجيز (٢٧٨/٢) .

السيوطي بأنه: «اللفظ الواحدُ الدالُّ على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة»[١]، وذلك أن هذا التعريف للمشترك حادث بعدهم، ومن ثمَّ فلا وجه لمن طعن في جهودهم بدعوى أن ما ذكروه يقتضي أن يكون في الكلمة القرآنية مشتركات لفظية بهذه الكثرة التي لا تعرف في اللغة العربية، والاشتراك خلاف الأصل[٢]؛ لأننا نجيب عن ذلك بأنهم توسعوا في إيراد هذه الوجوه فأدخلوا الوجه الذي هو أحد أفراد المعنى العام، وأدخلوا المعنى المجازي، وما خصص، أو قيد بقرينة في السياق إلى غير ذلك، ولا يريدون المشترك بالمعنى الأصولي فلا يُحاكَمون إلى ما أُحدث بعدهم.

وقد تعقب ابنُ عقيلة المكيُّ جلالَ الدين السيوطيَّ حين عبَّر عن الوجوه بمشتركات القرآن فقال: «تسمية هذا النوع الذي هو الوجوه والنظائر بالمشترك كما ذكره السيوطي رحمه الله تعالى... فيه نظر... فإن المشترك اللفظي الذي إذا أطلق المشترك لا ينصرف إلا إليه، هو اللفظ الواحد يشترك فيه معان شتى؛ مثل: العين يطلق ويراد بها الباصرة، ويراد بها الجارية، وعين الشمس، والعين الذهب، والعين الذات، وفي كل واحد معنى مستقل غير الآخر، وأما إطلاق اللفظ على ما يدخل تحت عمومه، أو إطلاقه عليه على وجه التشبيه أو الاستعارة، فليس هذا من المشترك في شيء، بل المشترك مثل العين وأمثال ذلك، وأما الوجوه والنظائر فهي إطلاق اللفظ على ما يدخل تحته، أو

---

(١) المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي (٢٩٢/١) .

(٢) صنف أحد أساتذة النحو العربي بالعراق كتابا بعنوان: «لا وجوه ولا نظائر في كتاب الله عز وجلَّ» أقامه على أن الوجوه والنظائر هي المشترك اللفظي في زعم أصحابها، ثم غدا وراح في إبطال ذلك من جهة أنه لا يتحقق فيها شرط المشترك اللفظي المعروف عند الأصوليين، ثم رتب على ذلك رمي هؤلاء العلماء بالتلاعب والتحريف الدلالي، ولو أنه تنبه إلى ما ذكرتُه هنا ما وقع في ذلك نسأل الله الهداية والسداد .

يشابهه، أو يشاكله في المعاني، وقد ذكر ابن الجوزي في كتابه المسمى: «الوجوه والنظائر»، ولم يجعله من المشترك، ومنه نقل الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى وسمَّاه بالمشترك»[(١)].

وبعد هذا البيان لأوجه استعمال الفتنة في القرآن الكريم، وتحرير القول فيها لعلك تسأل عن فتنة المال على أي وجه تتنزل، وإلى أي معنى تنتمي، وهذا هو أوان الحديث عنها.

المطلب الثاني: تحرير المقال في المقصود بفتنة المال.

ورد التصريح بأن المال فتنة في قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ { الأنفال: ٢٨}، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ {سورة التغابن: ١٥}، ويمكن أن يستنبط هذا – أعني كون المال فتنة – من مواضع أخرى في القرآن الكريم، والمقصود هنا تحرير المقصود بهذه الفتنة الواردة في شأن المال والولد.

وبالتأمل في كلام المفسرين في المقصود بالفتنة في هاتين الآيتين يمكن أن نستخلص الآتي:

للمفسرين في المراد بفتنة المال، وكذا فتنة الولد ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن المراد بالفتنة الابتلاء والاختبار والمحنة.

القول الثاني: أن المراد بالفتنة الإثم أو العذاب على تقديرٍ؛ أي: واعلموا أنما أموالكم وأولادكم سببًا الإثم أو العذاب.

القول الثالث: أن المراد بالفتنة موضع إعجاب وحب وغرام وميل فتشغل البال عن الطاعة.

ودونك التفصيل:

---

(١) الزيادة والإحسان في علوم القرآن، لابن عقيلة المكي (٢١٧/٥) .

القول الأول: الفتنة هي الاختبار والابتلاء والامتحان، وقال به أكثر المفسرين؛ منهم عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وقتادة، والطبري، ومكي بن أبي طالب، وابن عطية، وابن كثير، وغيرهم[١] .

قال السمعاني: «أي: بلاء ومحنة، ومعنى البلاء والمحنة من الأموال والأولاد أنه يشتغل بهم عن طاعة الله تعالى، ويحمله طلب المال ورضا الأولاد على معصية الله تعالى»[٢] .

وقال الحافظ ابن كثير: «أي: اختبار وامتحان منه لكم؛ إذ أعطاكموها ليعلم أتشكرونه عليها وتطيعونه فيها، أو تشتغلون بها عنه، وتعتاضون بها منه؟ »[٣] .

ويستدل لهذا القول بأمور من أهمِّها:

١ – مجيء الفتنة في موضع الابتلاء في آيات أخرى.

قال عبد الرحمن بن زيد: «في قوله تعالى: " ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ {الأنفال: ٢٨} قال: فتنة الاختبار، اختبارهم، وقرأ: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ {سورة الأنبياء: ٣٥}»[٤].

ومراده أنَّ المعنى: ونبلوكم بالشر والخير ابتلاء، ولذا قال جار الله الزمخشري: «و{فِتْنَةً} مصدر مؤكد لنبلوكم من غير لفظه»[١]، ومن أنواع الشر في الآية الابتلاء بالفقر، ومن أنواع الخير في الآية الغنى، وكلاهما متعلق بالمال كما لا يخفى.

---

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٢٦/١١)، و (١٨/٢٣)، والهداية إلى بلوغ النهاية، لمكي بن أبي طالب (٢٧٩٥/٤)، و (٧٥١١/١٢)، والمحرر الوجيز (٥١٧/٢)، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٤٢/٤) .

(٢) تفسير القرآن، للسمعاني (٤٥٣/٥) .

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٤٢/٤) .

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٢٧/١١) .

٢ – التصريح بالابتلاء بالمال في مواضع أخرى من القرآن الكريم؛ كقوله تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾ {سورة آل عمران: ١٨٦}، والقول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدَّمٌ على ما عدم ذلك.

٣ – الفتنة بمعنى الاختبار والابتلاء معنى حقيقي في الفتنة، بل قال أبو منصور الأزهري: «**جماع معنى الفتنة في كلام العرب**: الابتلاء والامتحان»[٢]، وسبق تقرير ذلك في اللغة.

٤ – الفتنة بمعنى الاختبار والابتلاء «هو أكثر استعمالاتها في القرآن»[٣]، أشهر الأوجه التي وردت عليها كلمة الفتنة في القرآن الكريم، وتقدم أن أكثر الوجوه الأخرى راجعة إليه.

القول الثاني: أن المراد بالفتنة الإثم أو العذاب على تقديرٍ؛ أي: واعلموا أنما أموالكم وأولادكم سببًا الإثم أو العذاب. وهذا القول ذكره جماعة من المفسرين مع القول الأول؛ كالزمخشري، والبيضاوي، والنسفي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ {الأنفال: ٢٨}، ولكنهم عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ {سورة التغابن: ١٥} اقتصروا على القول الأول ففسروا الفتنة بـ: «محنة وبلاء»[٤].

ومستند هذا القول أن الفتنة استعملت بمعنى «العذاب» في مواضع من القرآن الكريم.

وقد تقدم أن استعمال الفتنة بمعنى «الإحراق» استعمال حقيقي، ثم أطلق على كل عذاب فتنة.

---

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل، للزمخشري (١١٦/٣)، وهناك وجهان آخران في إعراب «فِتْنَةً» ينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (١٥٤/٨) .

(٢) تهذيب اللغة لأبي، منصور الأزهري- أبواب التاء والنون من الثلاثي الصحيح- مادة: «فتن» (٢١١/١٤) .

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين الشنقيطي (٢٨٩/٥) . وينظر أيضًا: (٧٩/٤) .

(٤) الكشاف (٢١٤/٢) و (٥٥٠/٤)، وأنوار التنزيل (٥٦/٣) و (٢١٩/٥)، ومدارك التنزيل (٦٤٠/١)، (٤٩٤/٣) .

ويعكر على هذا القول أنه يستلزم تقديرا وحذفا؛ لأن الأموال والأولاد ليسا عذابا للإنسان، ولا إثما في أنفسهما، وإنما هما سببا الوقوع في العذاب والإثم؛ فيكون فيه مجاز بالحذف؛ أي: (واعلموا أنما أموالكم وأولادكم سببَا إثمٍ أو عقاب) .

أو يكون فيه «مجاز مرسل في الإثم والعقاب؛ تسمية للمسبب باسم السبب»[١] وهو الفتنة.

ومن المقرر أن حمل الكلام على الحقيقة أولى من حمله على المجاز، وأن القول الذي لا يحتاج إلى تقدير أولى مما يحتاج إلى تقدير.

القول الثالث: أن المراد بالفتنة موضع إعجاب وحب وغرام وميل فتشغل البال عن الطاعة، وهو قول ابن قتيبة.

قال ابن قتيبة في تفسير الفتنة: «أي إغرامٌ؛ كما يقال: فُتِنَ فلان بالمرأة وشُغِفَ بها»[٢].

ويمكن أن يستدل لهذا القول بأمور:

أولًا: ذكر بعض علماء اللغة أن الفتنة من معانيها الإعجاب.

قال ابن منظور: «والفتنة: إعجابك بالشيء... وقوله ﷺ: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً هِيَ أَضَرُّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ»[٣] يقول: أخاف أن يعجبوا بهن فيشتغلوا عن الآخرة والعمل لها»[١].

---

(١) حاشية ابن التمجيد (٦٤/٩) .

(٢) غريب القرآن، لابن قتيبة صـ٤٦٩. وينظر: روح المعاني، للألوسي (٣٢٢/١٤) فقد نقل عن صاحب الكشف: «الفتنة على هذا الميل إلى الأموال والأولاد دون العقوبة والإثم».

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب النكاح- باب ما يتقى من شؤم المرأة (٨/٧حديث٥٠٩٦)، ومسلم في صحيحه بتبويب نووي- كتاب الرقاق- باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء، وبيان الفتنة بالنساء (٢٠٩٧/٤ حديث ٢٧٤٠) .

ثانيًا: يستدل له بحديث بريدة رضي الله عنه، قَالَ: «خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَأَقْبَلَ الْحَسَنُ، وَالْحُسَيْنُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَلَيْهِمَا قَمِيصَانِ أَحْمَرَانِ يَعْثُرَانِ وَيَقُومَانِ، فَنَزَلَ فَأَخَذَهُمَا، فَصَعِدَ بِهِمَا الْمِنْبَرَ، ثُمَّ قَالَ: صَدَقَ اللهُ: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ {سورة التغابن: ١٥}، رَأَيْتُ هَذَيْنِ فَلَمْ أَصْبِرْ، ثُمَّ أَخَذَ فِي الْخُطْبَةِ»(٢).

قال الحافظ ابن حجر: «أي تشغل البال عن الطاعة، وظاهر الحديث أن قطع الخطبة والنزول لهما فتنة دعا إليها محبة الولد فيكون مرجوحا، **والجواب** أن ذلك إنما هو في حق غيره، **وأما فعل النبي ﷺ ذلك** فهو لبيان الجواز فيكون في حقه راجحا، ولا يلزم من فعل الشيء لبيان الجواز أن لا يكون الأولى ترك فعله؛ ففيه تنبيه على أن الفتنة بالولد مراتب وإن هذا من أدناها وقد يجر إلى ما فوقه فيحذر»(٣).

وقال ابن بطال: «وهي في هذا الحديث شدة حب الرجل لأهله، وشغفه بهن... **وفتنته في ماله** أن يشتد سروره به حتى يغلب عليه، وهذا مذموم، ألا ترى أن النبي ﷺ لما نظر إلى علم الخميصة في الصلاة ردها إلى أبي جهم وقال: (كاد يفتنني) فتبرأ من مال خشي منه الفتنة»(٤).

ولفظ الحديث الذي ذكره ابن بطال، أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ صلى في خميصةٍ لها أعلام، فنظر إلى أعلامها نظرة، فلما انصرف قال:

---

(١) لسان العرب (١٣/ ٣١٨) - حرف النون- فصل الفاء- مادة: «فتن»، القاموس المحيط- باب النون- فصل الفاء مادة «فتن» صـ١٢٢١. وينظر أيضًا: المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده (٥٠١/٩) .

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٢٩٠/١ حديث ١١٠٩)، وابن خزيمة في صحيحه (١٥١/٣ حديث ١٨٠١)، والحاكم في المستدرك (٤٢٤/١ حديث ١٠٥٩)، وقال: هذا «حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٢٥٤/١١) .

(٤) شرح صحيح البخاري، لابن بطال (١٣/٤) .

«اذهبوا بخميصتي هذه إلى أبي جهم وأتوني بأَنْبِجَانِيَّة أبي جهم، فإنها ألهتني آنفا عن صلاتي»، وفي رواية: «كنت أنظر إلى علمها، وأنا في الصلاة **فأخاف أن تفتنني**»(١).

وهذا الحديث دالٌّ على عظيم قدره، وشدة حرصه ﷺ على الخشوع في الصلاة، والترفع عن كل ما من شأنه أن يصرف عن كمال الطاعة، ومن ثَمَّ فقد دفعه ذلك إلى رد هذه الخميصة، وهي من جنس الأموال؛ خشية أن تشغله عن مناجاته وإقباله على ربه في صلاته.

ثالثًا: يشهد له قول عبد الله بن مسعود: في قوله: " ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ {الأنفال: ٢٨} قال: «ما منكم من أحد إلا **وهو مشتمل على فتنة**، فمن استعاذ منكم فليستعذ بالله من مضلات الفتن»(٢).

والذي يظهر لي أن الأقوال الثلاثة غير متناقضة ولا متنافرة، بيد أن القول الأول وهو (تفسير الفتنة بالابتلاء والامتحان) أرجح هذه الأقوال وأولاها بالقبول، وهو قول الأكثرين؛ لقوة أدلته وسلامتها، واقتضائه العموم. وأما القول الثاني فهو صحيح في نفسه، إلا أن فيه عدولا عن الحقيقة إلى المجاز، أو فيه ادعاء تقديرٍ، وكلاهما خلاف الأصل أيضا، والقول الأول أعم منه؛ لأن الابتلاء يترتب عليه امتثال أو مخالفة، ومن خالف استحق الإثم أو العقاب.

وأما القول الثالث وهو الإعجاب أو الإغرام والشغل بها عن الطاعة فهذا من صور الابتلاء في حقيقة الأمر؛ ولذا اكتفى كثير من علماء اللغة بمعنى الابتلاء والامتحان دون الإعجاب.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الصلاة- باب إذا صلى في ثوب له أعلام ونظر إلى علمها (٨٤/١ حديث ٣٧٣)، والخميصة: كسَاء من صوف أَو خَزّ مُعلَم، وقيل: كسَاء مربع لَهُ علمَان، والأنْبجَانية: هِيَ كل مَا كَثُف من الأكسية، وقيل: إِذا كَانَ الكساء بعَلَمين فَهِيَ الخميصة وَإِلَّا فَهِيَ الأنبجانية [ينظر: فتح الباري (٨٢/١)، و (١١٤/١)].

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٢٦/١١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٨٥/٥) .

وابن قتيبة نفسه لما ذكر معنى الإغرام في الفتنة أتبعه بقوله: «وأصل الفتنة البلوى والاختبار»[١]، وجمع بعض المفسرين بينهما فقالوا في تفسير الفتنة: «بلاء وشغل عن الآخرة»[٢]، وقال البقاعي: «اختبار مُمِيلٌ عن الله لكم»[٣].

والأثر المروي عن ابن مسعود ﷺ يدل على أن الفتنة بالأموال والأولاد عامة؛ فيحسن حملها على الابتلاء أيضًا، أو أن منها ما هو معفو عنه؛ لأن الإنسان مجبول على حب الأموال والأولاد، والتحذير موجه إلى ما صرف عن الطاعة أو أفضى إلى معصية وهو المعبر عنه بمُضِلات الفتن.

وقراءة سيدنا رسول الله ﷺ للآية عندما قطع الخطبة لحمل سبطيه الحسن والحسين ﷺ تعليم لنا؛ لأخذ الحيطة، واستعمال الورع فيما يتصل بهذه الفتنة؛ ارتقاء بالنفس، وطلبا لمعالي الأخلاق، وكريم الصفات.

قال القاضي ابن عطية تعليقا عليها: «وهذه ونحوها هي فتنة الفضلاء، فأما فتنة الجهال والفسقة، فمؤدية إلى كل فعل مهلك»[٤].

المطلب الثالث: معالم المنهج القرآني في الحديث عن فتنة المال.

للقرآن الكريم منهجه المتميز في عرض قضاياه، ومن ذلك ما سلكه القرآن الكريم في حديثه عن فتنة المال من معالم واضحة، وأساليب متنوعة توجه المسلم إلى كيفية التعامل مع هذه الفتنة على اختلاف مداخلها. **ويمكن لنا أن نجمل أبرز هذه المعالم القرآنية على النحو الآتي:**

١ - التحذير الصريح من فتنة المال.

---

(١) غريب القرآن، لابن قتيبة صـ٤٦٩

(٢) تفسير مقاتل (٣٥٣/٤)، وزاد المسير، لابن الجوزي (٢٩٤/٤)، ومفاتيح الغيب، لفخر الدين الرازي (٥٥٦/٣٠) .

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٣١/٢٠) .

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣٢٠/٥) .

جاء في القرآن الكريم التصريح بأن الأموال والأولاد ما هم إلا فتنة، وما كان كذلك فيجب الحذر من الافتتان به، وهذا جاء مصرحا به في آيتين كريمتين وردتا بأسلوب القصر، وهما قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ { الأنفال: ٢٨}، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ {سورة التغابن: ١٥}، ولنا معهما وقفات خاصة بإذن الله.

ويمكن أن يستفاد أن المال فتنة أيضًا من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ {سورة طه: ١٣١} وذلك لأن زهرة الحياة الدنيا زينتها وبهجتها، والمال والبنون زينتها.

٢ – التأكيد على أن الله يبتلي الناس في أموالهم وهي الفتنة في حقيقة الأمر كما سبق بيانه.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾ {سورة آل عمران: ١٨٦}، وقال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ {سورة البقرة: ١٥٥}.

ويلاحظ أنَّ الأسلوب في هاتين الآيتين جاء مؤكَّدًا؛ لتقرير أن المال فتنة واختبار وابتلاء، ووجه ذلك أن كلا من قوله: ﴿لَتُبْلَوُنَّ﴾، وقوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ جوابُ قسم محذوف تقديره: واللهِ لَتُبْلَوُنَّ، والله لنبلونكم، وهذه اللام يقال لها: لام موطئة للقسم المقدر(١).

وإذا كانت آية سورة البقرة ﴿وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ﴾ قد خصت الابتلاء في المال بحالة نقصه أو فقده، فإن هناك آيات تدل على الابتلاء في المال حال وجوده والإنعام به، قال تعالى: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ {سورة الأنعام: ١٦٥} فالمراد بقوله: ﴿فِي مَا آتَاكُمْ﴾ «من نعمة

---

(١) ينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي (١٨٥/٢)، و (٥٢٢/٣)، وإعراب القرآن وبيانه، لمحي الدين درويش (٢١٦/١)، و (١٢٦/٢) .

المال والجاه، كيف تشكرون تلك النعمة، وكيف يصنع الشريف بالوضيع، والحرّ بالعبد، والغنى بالفقير؟ »[١].

٣ – تقرير أن الابتلاء يكون بالخير والشر، ويقع ببسط الرزق وتقديره، وفي النعمة والحرمان منها وأن هذا جميعه فتنة، ولا شك أن المال يندرج في هذا فهو نعمة وخير كما تقدم، وهو أيضا من أشهر أنواع الرزق، والناس متفاضلون فيه سعة وضيقًا.

قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ {سورة الأنبياء: ٣٥} قَالَ ابن عباس رضي الله عنهما: «نبتليكم بالشدة والرخاء وَالصِّحَّة والسقم والغنى والفقر والحلال وَالْحرَام وَالطَّاعَة وَالْمَعْصِيَة وَالْهدى والضلالة»[٢]، فأدخل الشدة والرخاء والغنى والفقر كما ترى، وكلها في المال.

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ {سورة الفجر: ١٥ – ١٦} ومن أظهر ألوان الإكرام والإنعام في نظر الإنسان نعمة المال، ويشهد لهذا قوله تعالى بعدُ: ﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (١٧) وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (١٨) وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا (١٩) وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ {سورة الفجر: ١٧ – ١٩} فإنها أفعال المفتونين بالمال نعوذ بالله من مضلات الفتن.

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ { سورة الزمر: ٤٩} على تفسير النعمة بالمال ثم بين أن هذه النعمة فتنة، وسبق بيان وجه الدلالة في الآية، وما يتعلق بعود الضمير في ﴿أُوتِيتُهُ﴾، و ﴿هِيَ فِتْنَةٌ﴾ عند الحديث عن وصف المال بأنه نعمة في التمهيد ولله الحمد والمنة.

---

(١) الكشاف (٨٤/٢) .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٦٩/١٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٤٥٢/٨) .

٤ – ذكر قصص يبين خطر الفتنة بالمال، وآثارها على عقائد الناس وسلوكياتهم أفرادا وجماعات.

المتأمل في القصص القرآني في هذا الباب يجد أنه متنوع فمنه ما يتعلق بفتنة الفرد، ومنه ما يتعلق بجماعة أو طائفة من الناس، ومنه ما يتعلق بأمة من الأمم فُتِنت بما لديها من أموال وأولاد وقوة فكفرت بأنعم الله، وأعرضت عن الحق فأهلكها الله سبحانه.

ومن القصص القرآني المتعلق بفتنة الفرد قصة قارون الذي بغى وتكبر بماله، ونسب الفضل في كسبه لنفسه غافلا عن شكر الله على ما أنعم عليه.

قال تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ﴾ {سورة القصص: ٨١} فتأمَّل كيف كان جزاؤه من جنس عمله لما تكبر وبغى ومشى مختالا في مشيته خسف به، ولم يقتصر الخسف على شخصه، بل خُسف به وبداره وهي من مالِه، وفيها مالُه فخسف كما قال البقاعي: «بأمواله وزينته... لئلا يقول قائل: إن الخسف به كان للرغبة في أخذ أمواله»(١).

ومن هذا القصص القرآني أيضا قصة صاحب الجنتين الذي أعجب بماله، وتفاخر به فعاقبه الله وأهلك جنَّتَيه قال تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (٤٢) وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا﴾ {سورة الكهف: ٤٢ – ٤٣}، وفي القصة بيان حال الصاحب المؤمن الفقير الناصح لله .

ومن القصص القرآني في التحذير من فتنة المال فيما يتعلق بطائفة من الناس قصة أصحاب الجنة المذكورة في سورة القلم، وسيأتي بإذن الله تعالى استخلاص بعض الفوائد منها في موضعه.

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٣٥٨/١٤) .

وقد قصَّ الله علينا جملة من قصص الأمم السابقة التي أهلكها الله بسبب تكذيبها وافتتانها بما امتن الله به عليها من الأموال، لا سيما الملأ وأشراف القوم منهم، وبيَّن لنا ﷻ أثر الترف في الضلال والإضلال.

وصدق الله سبحانه إذ قال: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ {سورة القصص: ٥٨}، وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ {سورة الإسراء: ١٦}؛ أي: أمرناهم بالطاعة ففسقوا وتمردوا(١).

٥ – النهي الصريح عن أن يكون المال ملهيا لصاحبه عن الطاعات، وذم من شغل به عنها.

ومن الأدلة الصريحة في النهي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ {سورة المنافقون: ٩}.

٦ – بيان أن المال إذا لم يكن صاحبه مؤمنا فإنه يكون وبالا عليه في الآخرة، ولا يدفع عنه من عذاب الله شيئًا.

ومن الآيات الواردة في ذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ { سورة الشعراء: ٨٨ – ٩٨}، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾ {سورة آل عمران: ١٠}.

٧ – بيان أن وجود المال عند صاحبه لا يدل بالضرورة على أنه إكرام ورضا من الله؛ فإن المال يُعطى للمؤمن والكافر، ومن يحبه الله ومن يبغضه.

---

(١) وهناك أوجه أخرى في معنى: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ فقيل: الأمر هنا بمعنى القضاء والأمر الكوني القدري، وقيل: أن أمرنا أي كثَّرنا، وقل أمرنا بمعنى بعثنا [ينظر: تفسير القرآن، للسمعاني (٢/٢٢٨)، والتسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي الكلبي (١/٤٤٣)].

بين الله سبحانه في مواضع من كتابه العزيز أن الميزان عنده ليس بالمال ولا بالبنين، وإنما بالإيمان والعمل الصالح؛ ولذا فإن المال يعطيه الله لمن يحب ولمن يبغض لأنه ابتلاء وفتنة، وربما كان استدراجا للعبد.

قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ (٥٥) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ {سورة المؤمنون: ٥٥ – ٥٦}، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾ {سورة سبأ: ٣٧}، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (١٦) كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ {سورة الفجر١٥ – ١٧}.

٨ – بيان العاقبة السيئة لمن فُتن بماله فمنع حق الله عليه، أو أنفق ماله في غير حق.

ورد في القرآن الكريم بيان العاقبة السيئة لمن فتن بماله فبخل به عن أداء ما افترض الله عليه. قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ {سورة آل عمران: ١٨٠}.

٩ – النهي عن المعاملات والممارسات المحرمة في كسب المال أو إنفاقه، وتوجيه الإنسان إلى المعاملات المباحة، وحثه على البذل والإنفاق في سبيل الله.

في القرآن الكريم نهي عن صور كثيرة من المعاملات والممارسات المحرمة، وتهديد من يقترفها وسبب ذلك أنها دالة على أن صاحبها قد فتن بماله فظلم نفسه، أو اعتدى على حق غيره. من ذلك تحريم أكل أموال الناس بالباطل، وأكل مال اليتيم، والرشوة، والربا، والميسر والقمار، والتطفيف في الكيل والميزان إلى غير ذلك من الصور المحرمة.

ومن الأدلة في ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ {سورة البقرة: ١٨٨}، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾ {سورة النساء ٢٩}، وقوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ {سورة المطففين: ١ - ٣}

وفي القرآن الكريم أيضا النهي عن الممارسات الخاطئة في الإنفاق؛ وذلك لأنها جارت عن العدل والقصد كالبخل والإسراف قال تعالى: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (٢٦) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ {سورة الإسراء ٢٦ - ٢٧}، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾ {سورة الإسراء: ٢٩}.

وفي القرآن أيضا بيان ما أحل الله للناس في المعاملات المالية من التجارة والبيع؛ ليستغنوا بذلك عن الحرام، وفيه أيضا دعوة للتغلب على فتنة المال بالدعوة إلى الجود والإنفاق في سبيل الله.

ومن هذه الآيات في هذا الباب قوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ {سورة البقرة: ٢٧٥}، وقوله تعالى: ﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ {سورة محمد: ٣٨}.

١٠ - ذكر الآثار السلبية المترتبة على الفتنة بالمال غنى، أو فقرًا.

هناك آثار سلبية كثيرة تترتب على فتنة المال تتعلق بالفرد وبالمجتمع؛ كالطغيان، والبغي، والكبر، وغير ذلك مما سيأتي بيانه في أوجه فتنة المال وحال الناس معها.

ومن الأدلة في هذا الباب قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى (٦) أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴾ {سورة العلق: ٦ - ٧}، ففيه بيان أن الغنى سبب طغيان الإنسان إلا من رحم الله تعالى.

١١ - توجيه المسلم إلى الإنفاق والبذل في أبواب الخير؛ ليُوقَى شُحَّ نفسه وبخلها.

لم يكتف القرآن الكريم ببيانِ أن المال فتنة، وذكرِ الأمراض الناشئة عن هذه الفتنة؛ كالبخل والإسراف والطمع، وإنما وجهه إلى البذل والإحسان؛ ليستعلي بذلك عن هذه الأدواء.

وللقرآن الكريم في الدعوة إلى البذل أسلوبان أحدهما باللين، والآخر بالشدة والتهديد(١).

وقد تدرج القرآن مع الإنسان المجبول على حب المال في التوجيه إلى الإنفاق، فأوجب عليه الزكاة، وحثه على الصدقة المتطوع بها دون إلزام، ولم يأمره بالانخلاع من جميع ماله، فإنه لا غنى له عنه، وإنما هذب نفسه، وأعلى همته، ولم يزل يترقى به حتى وجهه إلى الإيثار، والإنفاق مما أحب قال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ {سورة الحشر: ٩}، وقال سبحانه: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ {سورة آل عمران: ٩٢}.

قال ابن عاشور: «والمال المحبوب يختلف باختلاف أحوال المتصدقين، ورغباتهم، وسعة ثرواتهم، والإنفاق منه أي التصدق دليل على سخاء لوجه الله تعالى، وفي ذلك تزكية للنفس من بقية ما فيها من الشح، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ {سورة الحشر: ٩} وفي ذلك صلاح عظيم للأمة؛ إذ تجود أغنياؤها على فقرائها بما تطمح إليه نفوسهم من نفائس الأموال، فتشتد بذلك أواصر الأخوة، ويهنأ عيش الجميع»(٢).

١٢ – الدعوة إلى الكسب والعمل والأمل، لا التمني والحسد والكسل.

إذا كان القرآن الكريم قد حذرنا من فتنة المال فإنه لا يدعونا بذلك إلى تجنب المال، والقعود عن كسبه، كيف وهو الذي يدعونا إلى الإنفاق والبذل، ومن لا مال معه فمن أي شيء ينفق؟

---

(١) ينظر: التفسير الإذاعي للقرآن الكريم عند العلامة الحكيم محمد عبد الله دراز د. دعاء محمد صـ١٠٠.

(٢) التحرير والتنوير (٦/٤).

إن القرآن دعانا إلى «شرف العمل الكاسب الذي يغني صاحبه، وينشر الغنى من حوله على العاجزين»[١].

وتأمل قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ {سورة النساء: ٣٢}.

فالقرآن بذلك يقرر حق كل عامل في امتلاك نتاج كسبه، وثمرة عمله، ولكنه ينهاه عن سؤال الناس وحسدهم، ويحثه على العمل وفي الله سبحانه الأمل.

«ألا من كان ملتمسا في رزقه الفضل، فمن الله وحده إذًا فليلتمسه. ومن كان مطالبا فيه بالحق والعدل، فليطلبه من نفسه، من جده وجهده، من كدِّ يمينه وعرق جبينه»[٢].

هذه المعالم - بحسب استقرائي - من أبرز معالم المنهج القرآني في الحديث عن فتنة المال، وقد اتضح لك مما سبق أن الله كما أخبرنا أن المال فتنة، علَّمنا كيف نتغلب على تلك الفتنة.

وأرى من المناسب زيادة في البيان ذكر أسرارٍ لطيفة من الأسلوب القرآني في أصرح آيتين في تقرير هذه الفتنة.

من أسرار الأسلوب القرآني في آيتي فتنة الأموال والأولاد في سورتي الأنفال والتغابن:

تقدم أن هناك آيتين قد صرَّحتا بأن الأموال والأولاد ليسوا إلا فتنة بطريق القصر، وهاتان الآيتان هما: قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ {الأنفال: ٢٨}، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ {سورة التغابن: ١٥}.

والمتأمِّل في هاتين الآيتين من السورتين الكريمتين يمكنه أن يقف على الآتي:

أولًا: أساليب تكررت في الآيتين الكريمتين.

---

(١) مِنْ خُلُق القرآن صـ٤٠.

(٢) مِنْ خُلُق القرآن صـ٤٣.

ثانيًا: خصوصيات تتعلق بكل آية منهما.

أولًا: ذكرُ أساليب تكررت في الآيتين الكريمتين مع تجلية ما فيها من فوائد وأسرار:

١ - أسلوب القصر.

الأسلوب في الآيتين الكريمتين أسلوب قصر؛ وهو «تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص»(١).

وطريقه في الآية الأولى "أنما"، وفي الأخرى "إنما"، وهما من أدوات القصر.

وسر التعبير في الأولى بـ«أنما» أنها مسبوقة بقوله «واعلموا» و«أنما» تكون في وسط الكلام، بخلاف «إنما» فإنها تكون في أول الكلام، ولكنهما يفيدان القصر(٢).

ومن لطائف استعمالهما في القصر أنهما يستعملان مع الشيء الذي لا ينكره المخاطب ولا يجهله، أو حينما ينزل المخاطب هذه المنزلة(٣)، وكأن في هذا إشارة أن الابتلاء بالأموال والأولاد، وحصول الفتنة بهما مما لا ينبغي الارتياب فيه، أو جهله فهو واضح للجميع.

والقصر في الآيتين قصر موصوف على صفة؛ أي: ليست أموالكم وأولادكم إلا فتنة؛ «للمبالغة في كثرة ملازمة هذه الصفة للموصوف؛ إذ يندر أن يخلو أفراد هذين النوعين، وهما أموال المسلمين وأولادهم عن الاتصاف بالفتنة لمن يتلبس بهما»(٤).

٢ - أسلوب الخطاب التحذيري في الآيتين الكريمتين عام لأهل الإيمان.

---

(١) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، لأحمد بن إبراهيم الهاشمي صـ١٦٥.

(٢) ينظر: القصر بالأدوات في القرآن الكريم دراسة إحصائية بلاغية تفسيرية د. محمد رجائي صـ٦٥.

(٣) ينظر: دلائل الإعجاز، للشيخ عبد القاهر (٣٣٠/١)، والبلاغة فنونها وأفنانها -علم المعاني د. فضل حسن عباس صـ ٣٨٦.

(٤) التحرير والتنوير (٢٨٦/٢٨) .

يلاحظ أن الخطاب في الآيتين عام في قوله: ﴿وَاعْلَمُوا﴾، وقوله: ﴿أَمْوَالُكُمْ﴾، وقوله: ﴿وَأَوْلَادُكُمْ﴾، وقد سبقهما النداء بـ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ في الموضعين، وهذا مؤذن بعموم الخطاب التحذيري من فتنتي الأموال والأولاد، وأنه ليس خاصا بشخص، أو جماعة معينة، وإن ورد في الآيتين قبلهما سبب نزول؛ فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، كما قرره جمهور أهل الأصول.

قال الحافظ ابن كثير: «القول بأن هذا التحذير يعم الصحابة وغيرهم - وإن كان الخطاب معهم - هو الصحيح، ويدل على ذلك الأحاديث الواردة في التحذير من الفتن»[1].

٣ - تقديم الأموال على الأولاد في الآيتين الكريمتين له أسرار منها:

أ - أن الفتنة بالمال أشد.

ب - أن المال أسبق؛ إذ إن الأولاد يجيئون بعد الزواج، والزواج يحتاج إلى مال فهو أسبق.

ج - الفتنة بالمال أعم؛ لاحتياج جميع الناس إليه، وعدم الاستغناء عنه، وأما الأولاد فهم فتنة لمن كان أبا، أو كانت أمًّا.

٤ - التعبير عن فتنة الأموال والأولاد بالمصدر للمبالغة.

جاء الإخبار عن فتنة الأموال والأولاد بالفتنة بالأسلوب المصدري، دون أن يقول عن الأموال والأولاد إنهما «فاتنان» بصيغة اسم الفاعل، وعلماء اللغة يقولون: إن التعبير بالمصدر عن اسم الفاعل فيه معنى المبالغة.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٣٨/٤).

قال العلامة ابن عاشور: «وجعل نفس "الأموال والأولاد" فتنة؛ لكثرة حدوث فتنة المرء من جراء أحوالهما، **مبالغة في التحذير** من تلك الأحوال وما ينشأ عنها، فكأن وجود الأموال والأولاد نفس الفتنة»[١].

٥ – ختم الآيتين بالترغيب في الإقبال على ما عند الله من الثواب والأجر العظيم.

يلاحظ أن الله ختم الآيتين الكريمتين بهذا الأسلوب الترغيبي، فقال تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ { الأنفال: ٢٨}، وقال سبحانه أيضًا: ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ {سورة التغابن: ١٥} "وناهيك بما يكون منه بسبيل جلاله وعِظَمه"[٢] وفي هذا حث على التماس هذا الأجر، وإعلاء للهمة بإيثار رضا الله سبحانه على ما تدعو النفس إليه بسبب ما جُبلت عليه من حب الأموال والأولاد بأن يتخفف من التعلق بهما، أو يُطوِّع هذا الحب في مرضاته سبحانه، وفي استحضار هذا الأجر العظيم من الله العظيم سبحانه "تعويض عن التخفف من هذا الحبّ الّذى يحمله الإنسان في قلبه للمال وللولد، وإيثارهما على حبّ الله والعمل في طاعته فالذي عند الله من ثواب، هو خير من الدنيا كلّها"[٣].

وكأنَّ هذا الختام ينادي على أهل الإيمان أن «علّقوا هممكم بما يؤديكم إلى أجره العظيم، ورضاه العميم، حتى تفوزوا بالخير الجسيم»[٤].

وفي هذا الختام أيضًا «إشارة إلى أن ما عند الله من الأجر على كف النفس عن المنهيات هو خير من المنافع الحاصلة عن اقتحام المناهي لأجل الأموال والأولاد»[٥].

---

(١) التحرير والتنوير (٩/٣٢٥) .

(٢) نظم الدرر في تناسب الآي والسور (٢٠/١٣٢) .

(٣) التفسير القرآني (١٤/٩٩١) .

(٤) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (٢/٣٢٣) .

(٥) التحرير والتنوير (٩/٣٢٥) .

٦ – التعقيب على التحذير من هذه الفتنة بالحث على تقوى الله سبحانه.

يلاحظ أن الله سبحانه أتبع هذا التحذير من فتنة الأموال والأولاد بالحث على التقوى.

فقال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ {سورة الأنفال: ٢٩}، وقال سبحانه: ﴿فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، ولا يخفى ما للتقوى من أثر كبير في حماية الإنسان من الافتتان بالأموال والأولاد، واستثمارهم فيما يرضي الله سبحانه.

ثانيًا: خصوصيات تتعلق بكل آية منهما.

١ – التعبير في آية سورة الأنفال مبدوء بقوله: " واعلموا" وهذا مناسب لموضعين آخرين سبقا هذه الآية بقليل وهما قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ {سورة الأنفال: ٢٤}، وقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ {سورة الانفال: ٢٥}، وجاء بعد ذلك في موضع آخر قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ {سورة الانفال: ٤١}.

وبدء الجملة بقوله {وَاعْلَمُوا}؛ «للاهتمام بما تتضمنه، وحث المخاطبين على التأمل فيما بعده، وذلك من أساليب الكلام البليغ أن يفتتح بعض الجمل بـ «اعلَم أو تَعَلَّمْ»؛ لفتًا لذهن المخاطب، وفيه تعريض غالبا بغفلة المخاطب عن أمر مهم فمن المعروف أن المُخْبِر أو الطالِب ما يريد إلا علم المخاطب؛ فالتصريح بالفعل الدال على طلب العلم مقصود للاهتمام»[(١)].

٢ – يوجد تناسب جليل وترابط عظيم بين قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ { سورة الأنفال: ٢٨}، ومقصود السورة وموضوعاتها وما قبلها.

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (٣١٤/٩) .

أ – أما المناسبة بين الآية ومقصود السورة؛ فذلك من جهة أن مقصود سورة الأنفال "تبرؤ العباد من الحول والقوة، وحثهم على التسليم لأمر الله واعتقاد أن الأمور ليست إلا بيده"(١)، ومن المعلوم أن الافتتان بالأموال والأولاد يجعل العبد شديد التعلق بهما غافلا عن هذا المقصد العظيم فناسب أن يُذكر في السورة الكريمة هذا التحذير؛ حثا له على الاعتصام بالله سبحانه.

ب – المتأمل في سورة الأنفال يجد أنَّ الحديث عن الفتنة قد جاء في ثلاثة مواضع أخرى وهي قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ {سورة الأنفال: ٢٥}، وقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ {سورة الأنفال: ٣٩}، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ {سورة الأنفال: ٧٣}، وهذا يدل على أن السورة الكريمة قصدت إلى التحذير من الوقوع في الفتن، ومن بينها فتنة الأموال والأولاد.

ج – سورة الأنفال فيها حديث عن غزوة بدر، وأمر الغنائم، وما وقع في شأنها من اختلاف، وهذه الأنفال التي سميت السورة باسمها ما هي إلا أموال وهي موضع اختبار للمجاهدين، وتجري فيها هذه الفتنة فناسب والله أعلم الحديث عن هذه الفتنة في هذه السورة الكريمة.

د – في ذكر هذه الآية بعد قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ "تنبيه على الحذر من الخيانة التي يحمل عليها المرء حب المال، وهي خيانة الغلول وغيرها، فتقديم الأموال؛ لأنها مظنة الحمل على الخيانة في هذا المقام"(٢).

---

(١) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور (١٤٦/٢) .

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٣٢٤/٩) .

قال الإمام الرازي: " لما كان الداعي إلى الإقدام على الخيانة هو حب الأموال والأولاد نبه تعالى على أنه يجب على العاقل يحترز عن المضار المتولدة من ذلك الحب، فقال: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾؛ لأنَّها تشغل القلب بالدنيا، وتصير حجابا عن خدمة المولى"[١].

٣ – يوجد تناسب جليل وترابط عظيم بين قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ {سورة التغابن: ١٥}، ومقصود سورة التغابن، وموضوعاتها، وما قبلها.

أ – أما المناسبة بين الآية ومقصود السورة فذلك من جهة أن مقصود سورة التغابن «الإبلاغ في التحذير... بإقامة الدليل القاطع على أنه لا بد من العرض على الملك للدينونة على النقير والقطمير يوم القيامة، يوم الجمع الأعظم»[٢]، وهذه الكريمة – كما سبقَ – فيها التحذير الواضح من فتنة المال، وبيان أن ثواب الله أعظم وأبقى، وهذا يظهر يوم القيامة، وهو يوم التغابن الذي سميت السورة به، والتغابن من الغبن ومما قيل في معناه: «أخذ الشيء بدون قيمته، فبالتفاوت الذي يقع بين القيمة وما دونها يحصل التغابن، فالمؤمنون لما عملوا للجنة وللنعيم الباقي فقد غَبَنوا أهل النار، والكفار لما اختاروا النعيم المنقطع على النعيم الباقي، والدار التي تفنى على الدار التي لا تفنى؛ فقد غُبِنوا»[٣] وما من شك أن الافتتان بالأموال والأولاد من أكبر أسباب الغبن حين يؤثرونهم على طاعة الله سبحانه، وقد فسر التغابن أيضا بفَوْت الحظ[٤]، والافتتان بهم يفوت على العبد حظه من الطاعة في الدنيا، والأجر في الآخرة. ولذلك فقد قال سبحانه في سورة المنافقون وهي السورة

---

(١) مفاتيح الغيب، للرازي (١٥/٤٧٥) .

(٢) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور (٣/٩٠) .

(٣) تفسير القرآن، للسمعاني (٥/٤٥٢) .

(٤) ينظر: زاد المسير، لابن الجوزي (٤/٢٩٣) .

السابقة لسورة التغابن: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ {سورة المنافقون: ٩}.

والمناسبة بين قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ {سورة التغابن: ١٥}، وقوله تعالى قبلها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ {سورة التغابن: ١٦} «تعميم بعد تخصيص، وتأكيد التحذير الذي اشتملت عليه الآية السابقة»(١).

٤ – قال ابن الجوزي: «وقال أهل المعاني: إنما دخل «من» في قوله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾؛ لأنه ليس كل الأزواج، والأولاد أعداءً، ولم يذكر «من» في قوله ﷻ: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾؛ لأنها لا تخلو من الفتنة، واشتغال القلب بها»(٢)، وقال البقاعي: «وكأنه سبحانه ترك ذكر الأزواج في الفتنة؛ لأن منهم من يكون صلاحًا وعونًا على الآخرة»(٣).

ولعلك بعد هذا البيان لمعالم المنهج القرآني، ووقفات مع أسلوبه في الحديث عن فتنة المال، ترغب في معرفة أوجه هذه الفتنة، وآثارها على الإنسان، وهذا ما سأبينه في المبحث الآتي، وأسأل الله التوفيق، والسداد، والهدى، والرشاد.

---

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم د. سيد طنطاوي (١٤/٤٣٣).

(٢) زاد المسير (٤/٢٩٤)، وينظر: نظم الدرر (٢٠/١٣١)، والتفسير القرآني للقرآن (١٤/٩٩١).

(٣) نظم الدرر في تناسب الآي والسور، للبقاعي (٢٠/١٣٢).

المبحث الثاني: أوجه الفتنة بالمال، وآثارها على الإنسان في ضوء القرآن

المطلب الأول: فتنة المال عند وجوده وفقده وآثارها.

اقتضت حكمة الله سبحانه أن يُفضِّل بعض الخلق على بعض في الرزق، فيجعل هذا غنيا، ويجعل الآخر فقيرا قال ﷻ: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾ {سورة النحل: ٧١}،

والحق أنَّ الغِنى والفقر يبتلى بهما الإنسان، وكما أن الغِنى فتنة لصاحبه فالفقر كذلك فتنة .

وقد استعاذ النبي صلوات الله وسلامه عليه من شر الفتنتين فقال ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الكَسَلِ وَالهَرَمِ، وَالمَأْثَمِ وَالمَغْرَمِ، وَمِنْ فِتْنَةِ القَبْرِ، وَعَذَابِ القَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ النَّارِ وَعَذَابِ النَّارِ، **وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الغِنَى، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الفَقْرِ**...»(١).

وقد جاء في القرآن الكريم ما يدل على أن الإنسان يبتلى ببسط الرزق وهو الغنى، وبتضييقه وهو الفقر وهذه هي الفتنة قال سبحانه: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ {سورة الفجر: ١٥ - ١٦}.

قال جار الله الزمخشري: «إن قلتَ: كيف سَمَّى كِلا الأمرين من بسط الرزق وتقديره ابتلاء؟ قلت: لأنّ كل واحد منهما اختبار للعبد، فإذا بسط له فقد اختبر حاله أيشكرُ أم يكفر؟ وإذا قدر عليه فقد اختبر حاله أيصبر أم يجزع؟ فالحكمة فيهما واحدة، ونحوه قوله تعالى ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ {سورة الأنبياء: ٣٥}»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الدعوات- بَابُ التَّعَوُّذِ مِنَ المَأْثَمِ وَالمَغْرَمِ (٧٩/٨حديث٦٣٦٨)، ومسلم في صحيحه- كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار- باب التعوذ من شر الفتن وغيرها (٤/ ٢٠٧٨ حديث ٥٨٩) .

(٢) الكشاف، للزمخشري (٧٤٩/٤) .

وهذا يدلك على ما تقرر من أن فتنة المال عامة، ورحم الله حجة الإسلام أبا حامد الغزالي حين قال: «إن فتن الدنيا كثيرة الشعب والأطراف واسعة الأرجاء والأكناف، ولكن الأموال أعظم فتنها، وأطمُّ محنها، وأعظم فتنة فيها أنه لا غنى لأحد عنها، ثم إذا وجدت فلا سلامة منها فإنْ فقدَ المال حصل منه الفقر الذي يكاد أن يكون كفرا، وإنْ وجدَ حصل منه الطغيان الذي لا تكون عاقبة أمره إلا خسرا»[(١)].

وعند التأمل في هذه الفتنة الحاصلة بالغنى والفقر نجد أنها تتعلق بالإنسان في خاصة نفسه، وفي تعامله مع غيره ولذا قال الله سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ {سورة الفرقان: ٢٠}، والفتنة في الآية الابتلاء بدليل ذكر الصبر معها، فيدخل في معنى الآية ابتلاء الفقراء بالأغنياء والعكس؛ وذلك لأن «كل واحد مختبر بصاحبه، فالغني ممتحن بالفقير، عليه أن يواسيه ولا يسخر منه. والفقير ممتحن بالغني، عليه ألا يحسده، ولا يأخذ منه إلا ما أعطاه، وأن يصبر كل واحد منها على الحق»[(٢)].

وفتنة الغَني حاصلة من وجود المال معه، وفتنة الفقير حاصلة من فقد المال أو نقصه عنده.

وإليك الحديث عن كلتا الفتنتين وآثارهما على الناس بإيجاز.

أولاً: فتنة المال عند وجوده ﴿فتنة الغَنِيّ﴾ .

إن وجود المال مع الإنسان نعمة لا تستوجب مذمة لصاحبها من حيث هي، وإنما يأتي الذم حين يفتن الإنسان بهذا المال؛ فيدفعه إلى ارتكاب محرم أو تفريط في واجب.

---

(١) إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي (٢٣١/٣) .

(٢) التفسير القرآني للقرآن (١٨/١٣).

وحب الإنسان للمال، وتملّكِه غريزةٌ مركوزة في فطرته لا يلام الإنسان عليها، وإنما اللوم يقع إذا ملك المالُ قلبَ الإنسان، فأسره، وقاده إلى الباطل، والحرام؛ فسعى إلى جمعه من غير طريقه، أو أنفقه في غير وجهه، أو منع ما عليه بذله.

ويُحمد الإنسان إذا استعمل ماله في طاعة الله، وكان معينا له على تقواه، وأدى فيه الحقوق كسبًا وإنفاقًا، وكان مؤثرًا لله على ماله في أموره. وقد قال الرسول ﷺ لعمرو بن العاص رضي الله عنه: «يَا عَمْرُو، نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحِ لِلْمَرْءِ الصَّالِحِ»(١).

وحاصل الأمر: أن المال عند وجوده مع الإنسان نعمة وفتنة، فإذا انتبه إلى النعمة فشكرها، والفتنة فوظفها فيما يرضي الله لا ما يسخطه، فهو المفلح.

وآثار فتنة وجود المال على الإنسان واضحة؛ فمنهم الشاكر المطيع، ومنهم المفتون بماله.

ومن النماذج الجليلة العملية في شكر الله على نعمة وجود المال، والنجاح في الفتنة (الابتلاء) بالمال ما قصه الله علينا من أمر سيدنا سليمان عليه السلام.

وقد منَّ الله عليه بمنن كثيرة، منها المال على اختلاف أنواعه، وما مُلكُه العظيم إلا مالٌ حسًا ومعنى منحه الله إياه كما اصطفاه بالنبوة.

قال الله عز وجل: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ {سورة النمل: ١٩}، وقال سبحانه: ﴿فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ {سورة النمل: ٤٠}.

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد- بَاب الْمَال الصَّالِحُ لِلْمَرْءِ الصَّالِحِ صـ١١٢حديث ٢٩٩.

وإذا كان صاحب المال قد يفتن في ماله بحرصه الشديد على زيادته، وطمعه في تكثيره فيقبل حراما، أو يترخص فيه؛ فإن لنبي الله سليمان ﷺ موقفا جليلا في مواجهة هذه الفتنة العارمة، والتي تصيب كثيرا من الأغنياء.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ {سورة النمل: ٣٦}، فرفض سليمان ﷺ قبول هذه الرشوة، معترفا بنعمة الله عليه فيما أمده به من المال.

وأما الإنسان المفتون بماله ففتنته تأتي من جهات كثيرة، وتترتب عليها آثار خطيرة: فتأتي من جهة إمساكه بخلا وشحا، ومن جهة إنفاقه تبذيرا وإسرافا، وهاتان الجهتان مشهورتان، والفتنة بهما مشهورة وكبيرة؛ ولذا أفردت لها مطلبا.

وهناك آثار كثيرة تحصل من هذا الافتتان، منها فتنته بالطمع والحرص على المال، وفتنته بالخوف على المال من نقصه، أو ذهابه، ومنها اغتراره بالنعمة، والبغي والكبر، ومنع الحقوق بل والإعراض والكفر بالله والتكذيب بآياته، إلى غير ذلك من آفات كثيرة وخطيرة.

قال العلامة الألوسي: «ولعل فتنة البسط أشد من فتنة القبض فليتحفظ هناك أشد تحفظ»[1].

ومن الأمثلة على فتنة المال عند وجوده في يد الإنسان فتنة قارون الذي آتاه الله مالا وفيرا، وثروة ضخمة، فما كان منه إلا البغي وفرح البطر، والاغترار بالنعمة، والغفلة عن شكرها، وإعراضه عن النصيحة، وتكذيبه برسالة موسى ﷺ، إلى غير ذلك من فتن متلاحقة كثيرة جرَّه إليها افتتانه بماله.

قال تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ

---

(١) روح المعاني (٥٤/٩) .

الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾.

ومن الأمثلة على ذلك أيضًا قصة أصحاب الجنة حين فُتِنُوا ببستانهم، فمنعوا الحق الذي عليهم، وطغوا بمالهم قال تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٧) وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾ {سورة القلم: ١٧ - ١٨}، وقص الله علينا قصتهم، وكيف أنه عاقبهم وحرمهم جزاء وفاقا، ثم ذكر لنا اعترافهم بذنبهم، وطغيانهم بسبب مالهم قال تعالى: ﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ (٣٠) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ﴾ {سورة القلم: ٣٠ - ٣١}، وهذا الطغيان سببه الفتنة بالمال كما قال سبحانه: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى (٦) أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴾ {سورة العلق: ٦ - ٧}، وتأمل قوله سبحانه في أول القصة: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ﴾ فإنه تفسير الفتنة وهي الابتلاء والاختبار.

ومن الأمثلة على ذلك أيضا قصة صاحبي الجنتين، وقد كانت فتنتُه بسبب جنتيه وما تعلق بهما من نهر وثمر فظلم نفسه فكفر واغتر وتفاخر وأعمته هذه الفتنة عن النظر في عاقبة أمره، والإيمان بربه، والإيقان بآخرته قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا (٣٦) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا (٣٧) لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ {سورة الكهف: ٣٥ - ٣٨}.

ولما كان بعض الناس يحسب أنه لو قُضي له بالغني فتوافر المال معه لكان أفضل عملا، وأحسن عبادة، وأعظم صلاحا، بيَّن لنا سبحانه نموذجا من حال الإنسان الكنود الجاحد الذي فتن بماله بالرغم من معاهدته ربه أن يوظف ماله في طاعة الله، ولكنه المال الميَّال لكثير من الناس قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥) فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ

فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ (٧٦) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ {سورة التوبه: ٧٥ – ٧٧}.

ولا يصح ما قيل من أن هذه الآيات الكريمة نزلت في شأن ثعلبة بن حاطب ﷺ.

قال ابن حزم الأندلسي: «قد روينا أثرا لا يصح، وفيه أنها نزلت في ثعلبة بن حاطب – وهذا باطل، لأن ثعلبة بدري معروف...»[(١)].

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في ترجمة ثعلبة بن حاطب ﷺ: «وفي كون صاحب هذه القصة – إن صحّ الخبر ولا أظنه يصحّ – هو البدري المذكور قبله – نظر، وقد تأكدت المغايرة بينهما يقول ابن الكلبيّ: إن البدريّ استشهد بأحد»[(٢)].

ويبقى أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب لو فرض ثبوته، والمقصود الحذر من هذه الفتنة.

والحاصل أن الافتتان بوجود المال تترتب عليه آثار وخيمة تتعلق بتصورات الإنسان، واعتقاداته، وسلوكياته، وتؤذن هذه الآثار بتدمير المجتمعات، والقضاء عليها ونسأل الله العافية.

ثانيًا: فتنة المال عند فقده ﴿فتنة الفقر﴾.

قد يبتلى الإنسان بفقد المال أو نقصه، وضيق الرزق، وقلة ذات اليد وهو داخل في معنى الشر المذكور في قوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ {سورة الأنبياء: ٣٥}؛ وقيل له شرٌّ؛ لأن الشرّ

---

(١) المحلى بالآثار لابن حزم الأندلسي (١٣٧/١٢)، وقد ضعفه السيوطي في لباب النقول في أسباب النزول صـ ١٠٧، وللأستاذ عداب الحمش رسالة في نقد هذه القصة سماها "ثعلبة بن حاطب الصحابي المفترى عليه".

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني (٥١٦/١).

«يرغب عنه الكلّ»[١]، والإنسان جبل على حب المال، والرغبة في الرزق؛ ولذا سمَّي المال خيرا كما تقدم.

وقال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ {سورة البقرة: ١٥٥}.

وأثر هذا الابتلاء بالفقر على الناس ظاهر أيضا؛ إذ يختلفون تجاهه فمنهم الصابر غير المتسخط على تقدير الله مع الأخذ بالأسباب، ومنهم الراضي الذي يعدُّ البلاء نعمة، والمنع عطاء وهذا أعلى، ومنهم المفتون بسبب فقره، وفقده فيتسخط على قدر الله، ويجزع، وتصدر عنه أخلاق ذميمة، وسلوكيات منحرفة من اكتساب الآثام، وكسب الحرام، وأكل أموال الناس بالباطل، والسرقة، والحسد، والحقد وغير ذلك من صور كثيرة وآفات متنوعة.

ومن آفات فقد المال أو نقصه عند هذا الصنف من الناس التذبذب في الدين، والكفر بالله رب العالمين، واتباع الباطل طلبا المال، واستجلابا للنوال من أصحاب الغنى والمال.

ولشدة خطر الفقر، وكثرة الآفات الحاصلة من جرائه فقد كان النبي ﷺ يتعوذ منه، ويقرن بينه وبين الكفر.

عن أبي بكرة رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: " اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ، وَالْفَقْرِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ "[٢].

ودونك بعض الأمثلة التي عرضها القرآن الكريم لأحوال الناس في فتنة الفقر مع آثارها:

---

(١) المفردات في غريب القرآن صـ٤٤٨.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١٧/٣٤حديث٢٠٣٨١)، وابن حبان في صحيحه (٣٠٣/٣حديث ١٠٢٧)، والحاكم في مستدركه (٩٠/١حديث٩٩) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه».

١ – من الأمثلة القرآنية على الفتنة بفقد المال (الفقر) قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ {سورة الحج: ١١}

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ {سورة الحج: ١١} قَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ يَقْدَمُ المَدِينَةَ، فَإِنْ وَلَدَتِ امْرَأَتُهُ غُلاَمًا، وَنُتِجَتْ خَيْلُهُ، قَالَ: هَذَا دِينٌ صَالِحٌ، وَإِنْ لَمْ تَلِدِ امْرَأَتُهُ وَلَمْ تُنْتَجْ خَيْلُهُ، قَالَ: هَذَا دِينُ سُوءٍ»(١).

فهذا الابتلاء في المال والولد حمل هذا الفريق من الناس على القدح في الدين، والتذبذب فيه.

٢ – ومن الأمثلة على ذلك أيضًا ما كان يحدث من بعض الناس حين يقتلون أولادهم خشية الفقر والفاقة، فنهاهم الله عن ذلك، وبيَّن أن هذا جرم كبير وخطأ عظيم فقال ﷻ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ {سورة الإسراء: ٣١}، فبدأ سبحانه برزق الأولاد للاهتمام بهم، والمعنى: لا تخافوا من فقركم بسببهم، فرزقهم على الله سبحانه، وأما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ {سورة الأنعام: ١٥١} فلما كان الفقر حاصلا، قال: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾، فبدأ برزقهم لأنه الأهم لهم والله أعلم(٢).

وهذا فيه أن الدواء الناجع من فتنة الفقر استحضار أن الله هو الرزاق مع الأخذ بالأسباب.

٣ – ومما يعرض للإنسان إذا فتن بالفقر الحسد والحقد، وتمني ما عند الغني من المال، ولو كان كافرا فاجرا.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب تفسير القرآن– باب: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ﴾) ٩٨/٦ برقم ٤٧٤٢).

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٣٦٢/٣).

ومن الأمثلة على ذلك في القرآن الكريم ما ذكره الله سبحانه عن الذين أرادوا الحياة الدنيا في قصة قارون بقوله سبحانه: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٧٩) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ {سورة القصص: ٧٩ - ٨٠}.

فهذا ما تمناه أولئك المفتونون بغنى قارون، المحرومون مما عنده، وقد أرشدهم الذين أوتوا العلم إلى ما هو أنفع، وهو استحضار الثواب الأخروي، والجزاء السرمدي، ولكنهم لم يفقهوا كلامهم إلى أن خسف بقارون وبداره الأرض، فحينئذٍ علموا أنهم قد عُوفوا من فتنة الغني، وأن الرزق بيد الله يوسعه على من يشاء، ويضيقه على من يشاء، وعلى العبد التسليم قال الله سبحانه: ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ {سورة القصص: ٨٢}.

٤ - وإذا كانت هذه أمثلة لأحوال بعض الناس عند افتتانهم بفتنة الفقر وفقد المال فإن هناك أمثلة أخرى لمن نجا من هذه الفتنة، وثبت في تلك المحنة، فلم يعبأ بالفقر، ورجا من ربه الخير، ولم يتقاعس عن نصح المَفتُونِ بغناه، وخير مثال لذلك المؤمن في قصة صاحب الجنتين، قال تعالى: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا (٣٧) لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (٣٨) وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا (٣٩) فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (٤٠) أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾ {سورة الكهف: ٣٧ - ٤١}.

وهذا مثالٌ لرجل نبيلٍ واثقٍ في الله سبحانه، لم يبال بما تفاخر به صاحبه الغني صاحب الجنتين من كثرة المال وعزة النفر فإنها أمنية الفاجر(١)، وهذا المؤمن الفقير عنها بمنأى، ولذا فما كان منه إلا

---

(١) أخرج الطبري في تفسيره (٢٦٢/١٥) عن قتادة: " وتلك والله أمنية الفاجر: كثرة المال، وعزّة النفر".

أن تعجب وأنكر على صاحب الجنتين ما صدر منه من كفر وشك في البعث، وبينَّ له أن وجود المال عند العبد وإنعام الله به عليه يستوجب شكرا لله لا كفرا، ويستلزم الإقرار له سبحانه بالفضل والقدرة فلا قوة إلا بالله، ثم أعلمه أن الله قادر على تغيير الأحوال فهو يعز ويذل ويُغني ويُفقر وبيده ملكوت كل شيء ﷻ.

وقد ندم هذا الغني المفتون، ولكن بعد هلاك ثمره، وضياع ماله، قال تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (٤٢) وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا (٤٣) هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ {سورة الكهف: ٤٢ - ٤٤}.

وهكذا نرى أنَّ القرآن الكريم قد جلَّى لنا خطر فتنة المال عند وجوده وفقده، وقصَّ علينا من قصصه، وضرب لنا من أمثاله ما يبين لنا أحوال الناس أمام هذه الفتنة بطرفيها غنى وفقرا، وفيما قصه الله علينا عظة وعبرة، وحث على لزوم الاستقامة، واستحضار أن الأرزاق بيد الله سبحانه، فلا ينبغي الاغترار، ولا تسخط الأقدار، وإنما الأخذ بالأسباب، وسؤال الرزاق الوهاب.

والمتأمل في حال سير الرجال ونبلائهم يجد أنهم«صبروا عند العدم، ولم يمتنعوا عن كسب ما يصلحه، ولا من تناول المباح عند الوجود»[1].

المطلب الثاني: فتنة المال من جهتي الكسب والإنفاق وآفات الافتتان بهما.

أولاً: فتنة المال من جهة الكسب.

إن حبَّ المال غريزة مركوزة في الفطرة الإنسانية، وهذا الحب يدفع الإنسان إلى كسب المال وتحصيله، لاسيما وأنه لا غنى له عن المال لتلبية احتياجاته، وتحقيق مطالبه وأهدافه، وقد جاء القرآن الكريم بتهذيب هذه الغريزة وتوجيهها لا بإعدامها ومحاربتها، ومن ثمَّ فقد يسر الله سبحانه

---

(١) صيد الخاطر، لابن الجوزي صـ٣٥.

لنا طرق الكسب، وهيَّأ لنا الأسباب لتحصيل المال، وقد امتن الله علينا بالتمكين في الأرض، وخلق أنواع المعايش فيها، فقال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ {سورة الأعراف: ١٠} «أي: مكاسب وأسبابا يتَّجرون فيها، ويتسببون أنواع الأسباب، وأكثرهم مع هذا قليل الشكر على ذلك»[(١)]، كما امتن علينا سبحانه بالنهار؛ لتيسير العمل والكسب فيه فقال ﷻ: ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ {سورة النبأ: ١١}، وقال تعالى: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ {سورة القصص: ٧٣}.

ومن صور هذا التيسير رفع الجناح عن الناس في الحج إذا رغبوا في تجارة ينتفعون بها في حاجاتهم قال ﷻ: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾ {سورة البقرة: ١٩٨}. عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «كَانَتْ عُكَاظُ، وَمَجَنَّةُ، وَذُو المَجَازِ أَسْوَاقًا فِي الجَاهِلِيَّةِ، فَتَأَثَّمُوا أَنْ يَتَّجِرُوا فِي المَوَاسِمِ، فَنَزَلَتْ: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾ {سورة البقرة: ١٩٨}. فِي مَوَاسِمِ الحَجِّ»[(٢)].

ولمَّا أمر المؤمنين بالسعي إلى صلاة الجمعة وسماع الخطبة، وترك البيع سرعان ما فتح لهم المجال بعد انقضاء الصلاة بالعودة إلى الكسب وابتغاء فضل الله بالرزق الحلال.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٩) فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ {سورة الجمعة: ٩ - ١٠}.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٣٩٠/٣)

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب تفسير القرآن- باب قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾ (٢٧/٦حديث٤٥١٩).

وهكذا نجد أن القرآن الكريم فتح الأبواب للإنسان؛ ليلبي رغباته بالكسب المشروع، على أن هناك أبوابا أخرى قررها الشرع للحصول على المال؛ كالميراث، والهبة، وغير ذلك.

وكل هذا وغيره ليهنأ الإنسان، وينعم في حياته بيد أن كثيرًا من الناس يطمحون إلى ما هو أكثر من ذلك فيصبح المال غاية لهم لا وسيلة، وفتنة تغريهم لا نعمة تكفيهم.

وجدير بالعبد ألا يغفل عن أنه سيحاسب على ماله كسبا وإنفاقا؛ فقد قال ﷺ «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ»(١).

والحق أن ما أحل الله للإنسان في باب كسب المال وطرق الحصول عليه هو الأكثر، والأغلب، وما حذر الشرع منه محدود وقليل، ومع ذلك فإن كثيرا من الناس يفتنون بالمال في كسبهم، وطرق حصولهم عليه فيعتدون ويبغون، ولا يحتاطون في أمرهم، ولا يحترزون لأنفسهم، فتعمى بصائرهم عن الحلال، ولا تنفتح إلا على الحرام أو ما فيه شبهة، فتضيق عليهم دائرة الحلال، ويعز عليهم الكسب المباح.

ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم ما قصَّه الله ﷻ علينا في قصة أصحاب السبت، قال سبحانه: ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ {سورة الأعراف: ١٦٣}.

ففي قوله سبحانه: ﴿كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ الإشارة إلى أن ما بتلاهم الله به من ظهورِ الحيتان والأسماك في يوم السبت المحرم عليهم الاصطياد فيه، وإخفائِها في سائر الأيام إنما هو «بسبب فسقهم، وخروجهم على أحكام الله، واحتيالهم على التفلّت منها»(١).

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٦١٢/٤حديث٢٤١٧)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح».

ولعلَّ في إضافة الحيتان إليهم في قوله تعالى: ﴿حِيتَانُهُمْ﴾ «إيماء إلى أنها مخلوقة لهم، فلو صبروا نالوها وهم مطيعون»[٢].

ومن أبرز صور الافتتان بالمال في الكسب:

١ - الحصول على المال عن طريق الاكتساب المحرم أو ما فيه شبهة.

وقد تضافرت الأدلة على النهي عن الاكتساب المحرم في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، فوجدنا فيه النهي عن الربا، والسرقة، والرشوة، وأكل أموال الناس بالباطل، وأكل مال اليتيم، وتطفيف الكيل والميزان، والخمر، والميسر، إلى غير ذلك من صور محرمة.

وليس المراد هنا الحديث عن هذه الصور وتفصيل القول فيها، وإنما المقصود بيان أن الدافع لها هو الافتتان بالمال، فلا يبالي المرء من أيِّ طريق كان اكتسابه للمال.

٢ - التقصير في الواجبات والتفريط في الفرائض.

يُلهِي الكسبُ كثيرا من الناس فيشغلهم عن الفرائض والواجبات، والحقيق بهم أن يضعوا الأمور في نصابها، وألا يغفلوا عن طاعة ربهم، فهو الذي يسر وهيأ ورزق ووفَّق.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ {سورة المنافقون: ٩}، وقال تعالى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ {سورة الفتح: ١١}.

---

(١) التفسير القرآني للقرآن (٥٠٦/٥)

(٢) نظم الدرر في تناسب الآي والسور (١٣٨/٨) .

وقد أثني الله سبحانه على الذين لا يلهيهم كسب المال عن الطاعات، فقال سبحانه: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ {سورة النور: ٣٧}.

٣ - الطمع والبغي.

إذا أخذ الإنسان بأسباب الكسب المشروعة، وبذل ما في وسعه، ورزقه الله رزقًا حلالًا طيبًا فعليه أن يحمد الله، ويقنع بما آتاه، ويرضى بقسم الله له، ولكنَّ كثيرا من الناس يفتنون في هذا الباب، فيورثهم المال الذي كسبوه، طمعا فيما لم يكتسبوه، وحرصا على تحصيله، فيبقى فقيرا وإن كان ذا مال، وصدق الرسول ﷺ حين قال: «الغنى ليس عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس»[(١)]، ويؤدي به الطمع إلى البغي والظلم، واكتساب الحرام والآثام، مع الغفلة عن الآخرة، وكأنه مخلد في هذه الحياة قال الله ﷻ: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ (١) الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ (٢) يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ {سورة الهمزة: ١ - ٣}؛ أي: «يعمل عمل من يظن أنه باق حيّا أبد الدهر، ولا يعود إلى حياة أخرى يعاقب فيها على ما كسب من سيء الأعمال»[(٢)].

ومن أسرار الجمع بين هذه الأوصاف الهمز واللمز وجمع المال الإشارة إلى أن «أكثر الناس همزًا ولمزًا للناس، هو الذي يحرص على جمع المال، ويجعل هذا الجمع كلّ همّه في الدنيا... وإنه لكي ينفسح له طريق الجمع، ويخلو له ميدان الكسب، يحارب الناس بكل سلاح، فلا يدع في الميدان الذي يعمل فيه إنسانا إلا طعنه»[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الرقاق- باب الغنى غنى النفس (٩٥/٨حديث٦٤٤٦)، ومسلم في صحيحه- كتاب الزكاة- باب ليس الغنى عن كثرة العرض (٧٦٢/٢حديث١٠٥١) .

(٢) تفسير المراغي (٢٣٨/٣٠)، وثمَّ أقوال أخرى في معناها ينظر: روح المعاني (٤٦١/١٥) .

(٣) التفسير القرآني للقرآن تفسير المراغي (١٦٧١/١٦) .

وحب المال وإن كان مركوزا في غريزة الإنسان، لكن لا ينبغي أن يتحول إلى طمع وحرص يدفع المرء إلى كسب حرام؛ ولذا فإن حب المال لما جاء في مقام الذم وُصف بوصف زائد عن الحب قال تعالى: ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا (١٩) وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ {سورة الفجر: ١٩ - ٢٠}، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ {سورة العاديات: ٨}؛ أي: لشديد الحب له[١].

ثانيًا: فتنة المال من جهة الإنفاق.

يتعرض كثير من الناس للفتنة من جهة الإنفاق فقد يمنع ما عليه أن ينفقه، وقد ينفق في غير موضعه، وقد يسرف في إنفاقه، وهذا كله من وجوه الفتنة في المال من هذه الجهة.

وينشأ عن فتنة المال من هذه الجهة داءان فتاكان، ومرضان خطيران **وهما: البخل والإسراف.**

والمتأمل بنظر الحكمة يمكنه ردُّ المرَضَين إلى: «حبس المال عن وجوهه، وحرمان أرباب الحقوق منه، سواء بقي في يد صاحبه فسميناه بخلا وإمساكا، أم تبدد في أيدٍ أخرى، فسميناه تبذيرا وإسرافا. فهذا الإسراف نفسه هو في نظر الفضيلة إمساك؛ لأنه حبس للمال عن أهله. وهذا التبذير هو التقتير بعينه على الوجوه الأخرى التي هي أحرى بالإنفاق»[٢].

وقد حذرنا القرآن الكريم من المرضين: البخل، والإسراف في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، وبيَّن لنا أن الحق وسط بين طرفين، فلا إفراط ولا تفريط، وموازنة رشيدة تراعى مصالح الدنيا والآخرة، ومصلحة النفس، وحقوق الآخرين. قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾ {سورة الإسراء: ٢٩}، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ {سورة الفرقان: ٦٧}.

---

(١) هذا على أحد القولين، والقول الآخر: وإنه بسبب حب المال لبخيل {ينظر: زاد المسير (٤/٤٨٢) .

قلت: وما بُخله إلا أثرٌ من آثار طمعه وحرصه، وذلك كله من الافتتان بالمال ونسأل الله السلامة.

(٢) من خُلُق القرآن د. محمد عبد الله دراز صـ٢١.

إنها الحكمة التي نصح بها الحكماء قارون حين قالوا له كما ذكر القرآن: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ {سورة القصص: ٧٧}.

أما البخل فإنه في حقيقة أمره ما هو إلا إسراف في حب المال مع أنه فانٍ، وغفلة عن الموازنة شهوة اكتناز المال، والبخل به، وعواقبه الوخيمة في الآخرة قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ .

قال يحيى بن معاذ: «مصيبتان لم يسمع الأولون والآخرون بمثلهما للعبد في ماله عند موته، قيل وما هما، قال: يؤخذ منه كله، ويُسْأَل عنه كله»[(١)].

وأما الإسراف أو التبذير فهو الإنفاق في غير حق[(٢)].

وقد يظن ظانٌّ أن المسرف المبذر أهون من البخيل الممسك بدعوى أنه تخلص من حب المال الذي جبل عليه الإنسان، وهذه فتنته في المال، والحق أن الإسراف داء خطير لا يقل خطرا عن البخل والتقتير، وهما وإن اشتركا في أصل الضرر والخطر؛ إذ يضع كل منهما المال في غير موضعه «غير أن الممسك يضعه في مكان عزيز حريز فما يدرينا؟ لعل الله يقيض لهذا المال بعد ذلك من يثيره من مكمنه، ويوجهه الوجهة السديدة التي يرضاها الخلق والدين... أما المسرف فإنه حين يضعه في غير موضعه وضعه في مضيعة؛ لقد بعثره وبدده، واستهلكه وأهلكه فلا سبيل إلى إعادته

---

(١) إحياء علوم الدين (٣/٢٣٤) .

(٢) هذا مروي عن ابن مسعود ﷺ كما عند الطبري في تفسيره (١٤/٥٦٥)، وعن ابن سيرين أخرجه عنه ابن أبي الدنيا في "إصلاح المال صـ١٠٠، ونسبه القرطبي في تفسيره (١٠/٢٤٧) إلى الجمهور.

وتصحيح وجهته... الممسك يفوِّت مصلحة المال إلى أمد، والمسرف يفوتها إلى الأبد. الممسك يعلقها ويُعطِّلُها، والمسرف يمحوها ويُبطلها...»[١].

ولذا فلا جرم كان المُبذِّرُ المسرفُ حقيقا بهذا الوصف الذي وصفه به الحق سبحانه: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ {سورة: الإسراء: ٢٧}.

ومن أشهر آفات الافتتان بالمال من جهة إنفاقه:

١ - تضييع الحقوق وجحود النعمة.

يترتب على الافتتان بالمال في هذا الباب أضرار كثيرة، وعيوب مختلفة، وقد قال ﷺ في بعض أحاديثه: «**وَأَيُّ دَاءٍ أَدوَى مِنَ البُخلِ**»[٢]؛ أَي: أَيُّ عيب أقبح مِنْهُ»[٣]، والسرَفُ مثله وأشد، فماذا ينتظر من أصحابهما إلا الفساد، وتضييع الحقوق؟

وقد ذكر الله لنا قصة أصحاب الجنة، وكيف أن البخل ساقهم إلى أن يحرموا المساكين حقهم، فعاد عليهم بالخسران والهلاك لهذا البستان.

ومن هذه الآفات: جحود النعمة؛ فإن البخيل لم يؤد شكر النعمة ببخله، والمسرف لم يستثمر النعمة في مرضاة الله، بل وظفها في سخطه، فكلاهما جاحد لنعمة الله عليه بالمال الذي خوله إياه.

٢ - انتشار الفساد والكراهية بين الناس، والاجتراء على المعاصي.

---

(١) من خُلُق القرآن د. محمد عبد الله دراز صـ٢٠.

(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب المغازي- باب قصة عمان والبحرين (١٧٢/٥حديث ٤٣٨٣).

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لبدر الدين العيني (٢٩/١٨).

المسرف ينفق ماله في غير حق، ويبدده في معصية وفساد، والبخيل يمنع الحق فيعرِّض نفسه وغيره للفساد، وتنتشر الكراهية بين الناس، وذلك لأن إعطاء الحقوق وإخراجها طهرة للنفس من الشح والطمع، وطهرة للآخرين من الحقد والكراهية والحسد والغل.

وقد قال الله ﷻ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ {سورة التوبة: ١٠٣}.

وهذا طرف يسير من آفات الافتتان بالمال من جهة إنفاقه، وقد سبق بعض متعلقات هذا النوع عند الحديث عن فتنة الإنسان بالمال عند وجوده.

وبهذا يتضح لنا وجه الفتنة في المال كسبا وإنفاقا، وآفات الافتتان بهما، والموفق من وفقه الله.

ورحم الله سفيان الثوري حين قال: «عليك بعمل الأبطال الكسب من الحلال والإنفاق على العيال»[1].

ولعلي بهذا كشفت اللثام عما اشتبه من أمر فتنة المال بتحرير المقصود بها، وإبراز معالم المنهج القرآني في حديثه عنها، وتجلية أنواع هذه الفتنة، وما يلحق المفتونين بها من آفات، راجيا من الله سبحانه أن ينفعني بما كتبتُ والمسلمين والمسلمات، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

---

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم الأصبهاني (٣٨١/٦) .

أبرز نتائج البحث وأهم التوصيات

أولاً: أبرز النتائج المستخلصة من البحث:

١ – المال موصوف في القرآن الكريم بأوصاف متعددة، من أبرزها: كونه زينة، ونعمة، وخيرا، وقوامَ الحياة، وكونه فتنة، ولا منافاة بينها؛ فإن الفتنة هي الابتلاء، وفي النعمة بلاء.

٢ – المال يقع عليه المدح والذم بحسب تصرفات صاحبه في جمعه، وإنفاقه.

٣ – للفتنة معنيان حقيقيان وهما الابتلاء، والإحراق، ولها معانٍ أخرى مجازية.

٤ – الفتنة وردت في استعمال القرآن على وجوه كثيرة تعود إلى ثلاثة معانٍ، ويجمعها الابتلاء.

٥ – الوجوه والنظائر – ومنها كلام العلماء في وجوه الفتنة – يختلف عن المشترك اللفظي.

٦ – أكثر المفسرين على أن المقصود بفتنة المال: الابتلاء به، ويلحق بذلك شَغْلُه للإنسان.

٧ – للقرآن الكريم منهج قويم في الحديث عن فتنة المال، ذكرت منه اثني عشر معلما.

٨ – للفتنة بالمال أوجه، منها الفتنة به عند وجوده أو فقده، والفتنة به عند اكتسابه وعند إنفاقه.

٩ – الفتنة بالغنى أشد، والواجب فيه الشكر والبذل، ومن آفات الافتتان بالمال: الطغيان، والكبر، والكفر، والإعراض، ومنع الحقوق، إلى غير ذلك من آفات قلبية وسلوكية.

١٠ – الفقر فتنة، والواجب فيها الصبر والعمل، لا التسخط ولا الكسل، ومن آفات الافتتان بالفقر التذبذب في الدين، والكفر بالله رب العالمين، والحسد والحقد الدفين.

١١ – من آثار الافتتان بالمال كسبا: تحصيله من طريق محرم، والتفريط في الواجبات، والطمع.

١٢ – من آثار الافتتان بالمال إنفاقا تضييع الحقوق، وجحود النعمة، وانتشار الفساد والكراهية.

١٣ – البخل والإسراف من آثار الافتتان بالمال وحقيقتهما: حبس المال عن مصارفه، وحرمان أرباب الحقوق منه.

ثانيًا: أهم التوصيات:

١ – نشر الوعي بين الناس بحقيقة فتنة المال، ووجوهها، وآثارها.

٢ – الكتابة في فتنة المال في ضوء السنة النبوية، وفي فتنة الأولاد في ضوء القرآن والسنة.

أهم المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانيًا: كتب التفسير وعلوم القرآن.

- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود العمادي - دار إحياء التراث العربي - بيروت

- أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم، أ د. عبد العظيم المطعني - مكتبة وهبة، الطبعة الثالثة١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين الشنقيطي - دار الفكر - بيروت١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

- ألفية الغريب لابن العالم - اعتناء مهند آل مغثم - دار الصميعي، الطبعة الأولى١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م.

- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.

- البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان الأندلسي - دار الفكر - بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لابن عجيبة - الناشر: د. حسن عباس زكي - القاهرة ط: ١٤١٩هـ.

- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروز آبادي - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

- التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور - ط: الدار التونسية للنشر - تونس سنة ١٩٨٤ هـ.

- التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي الكلبي - الناشر: شركة دار الأرقم- بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ.

- التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسماؤه وتصرفت معانيه، ليحيى بن سلام - تحقيق د. هند شلبي - الناشر: الشركة التونسية للتوزيع - عام النشر: ١٩٧٩ م.

- التفسير الإذاعي للقرآن الكريم عند العلامة الحكيم محمد عبد الله دراز - تدوين المسموع مع الدراسة التحليلية د. دعاء محمد - مركز إحياء للبحوث والدراسات، الطبعة الأولى - ١٤٤٣هـ - ٢٠٢١م.

- التفسير البسيط، للواحدي - عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود - ط: ١، ١٤٣ هـ.

- تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم - مكتبة نزار الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة - ١٤١٩ هـ.

- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير - ط: دار طيبة، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

- تفسير القرآن، للسمعاني - دار الوطن، الرياض - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

- التفسير القرآني للقرآن - عبد الكريم يونس الخطيب - الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة.

- تفسير المراغي، لأحمد بن مصطفى المراغي - مطبعة مصطفى البابى الحلبي - ط: الأولى١٣٦٥ هـ.

- التفسير الوسيط للقرآن الكريم د. سيد طنطاوي - دار نهضة مصر - القاهرة، الطبعة: الأولى.

- تفسير مقاتل بن سليمان - دار إحياء التراث - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٣ هـ.

- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري -: دار هجر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠١ م.

- حاشية ابن التمجيد، لمصلح الدين الحنفي -مطبوعة مع حاشية القونوي على تفسير البيضاوي - دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي - دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي - تحقيق: د. أحمد الخراط ط: - دار القلم، دمشق.

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود الحسيني الألوسي - تحقيق: علي عبد الباري عطية - ط: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

- الزيادة والإحسان في علوم القرآن، لابن عقيلة المكي - مركز البحوث والدراسات جامعة الشارقة الإمارات، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ.

- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، للسمين الحلبي - دار الكتب العلمية - ط: الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦ م.

- غريب القرآن، لابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) - تحقيق: أحمد صقر - دار الكتب العلمية ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨ م.

- فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف) - للحسين بن عبد الله الطيبي (٧٤٣هـ) - الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الطبعة الأولى - ١٤٣٤ هـ/ ٢٠١٣م.

- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل - لمحمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ) - الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ.

- لباب النقول في أسباب النزول، لجلال الدين السيوطي (ت٩١١ه) - دار الكتب العلمية بيروت - لبنان

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية - دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

- مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي)، لأبي البركات عبد الله بن أحمد النسفي (ت: ٧١٠هـ) - الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٨ م.

- مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، للبقاعي (ت٨٨٥هـ) - مكتبة المعارف - الرياض، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٧ م.

- المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، د. محمد حسن جبل - مكتبة الآداب - القاهرة، الطبعة: الأولى، ٢٠١٠ م.

- مفاتيح الغيب، لفخر الدين الرازي - إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة ١٤٢٠ هـ.

- المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني - دار القلم - دمشق، الطبعة الأولى - ١٤١٢هـ.

- من أسرار التعبير القرآني دراسة تحليلية لسورة الأحزاب، د. محمد أبو موسى - مكتبة وهبة، الطبعة الثالثة.

- مِنْ خُلُق القرآن، د. محمد عبد الله دراز - من مطبوعات إدارة الشئون الدينية بدولة قطر١٣٩٩هـ.

- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، لأبي الفرج ابن الجوزي - مؤسسة الرسالة - لبنان/ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

- النشر في القراءات العشر، لابن الجزري - تحقيق: علي محمد الضباع، الناشر: المطبعة التجارية الكبرى.

- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين البقاعي (ت ٨٨٥ هـ) - دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

- النكت والعيون، لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي (ت ٤٥٠هـ) - الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.

- الهداية إلى بلوغ النهاية، لمكي بن أبي طالب (ت٤٣٧هـ) - مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ/ ٢٠٠٨ م.

ثالثا: كتب الحديث وعلومه.

- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت ٧٣٩ هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨ م.

- سنن أبي داود، لأبي داود السجستاني (ت٢٧٥هـ) - تحقيق محي الدين عبد الحميد - المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.

- سنن الترمذي، لأبي عيسى الترمذي (ت٢٧٩هـ) - تحقيق: الشيخ أحمد شاكر - شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ/ ١٩٧٥ م.

- شرح أحاديث من صحيح مسلم دراسة في سمت الكلام الأول، أ. د محمد أبو موسى، الطبعة الثانية١٤٤٣هـ.

- شرح صحيح البخاري لابن بطال - مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

- صحيح ابن خزيمة، لمحمد بن إسحاق بن خزيمة (ت٣١١هـ) - د. محمد مصطفى الأعظمي - المكتب الإسلامي - بيروت.

- صحيح الإمام البخاري - لمحمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ) - دار طوق النجاة - بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤٢٢هـ.

- صحيح الإمام مسلم لمسلم بن الحجاج النيسابوري (ت٢٦١هـ) - دار إحياء التراث العربي - بيروت.

- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن رجب الحنبلي (ت٧٩٥هـ) - مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة النبوية.

- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) - دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩.

- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لبدر الدين العيني (ت٨٥٥هـ) - دار إحياء التراث العربي – بيروت.

- فيض القدير شرح الجامع الصغير، لزين الدين المناوي (ت١٠٣١هـ) - المكتبة التجارية الكبرى - مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦ هـ.

- المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري (ت٤٠٥هـ) - دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ/ ١٩٩٠ م.

- مسند الإمام أحمد، لأحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ) - مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠١ م.

- النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير - المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

رابعا: كتب السير والتاريخ والتراجم .

- الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) - دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ.

- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم الأصبهاني (ت٤٣٠هـ) - دار الكتاب العربي – بيروت.

خامسا: كتب الفقه وأصول الفقه.

- الأم، للإمام الشافعي (ت٢٠٤هـ) - دار المعرفة – بيروت - سنة النشر: ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

- طرق وآفاق استثمار الأموال في الوطن العربي والإسلامي، د. نصر فريد واصل - هدية مجلة الأزهر - عددشعبان١٤٣٨هـ.

- القاموس الفقهي، سعدي أبو حبيب، دار الفكر - دمشق، الطبعة: الثانية ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨ م.

- الموافقات، للشاطبي (ت٧٩٠هـ) - دار ابن عفان، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

- المحلى بالآثار، لابن حزم الأندلسي (٤٥٦هـ) - دار الفكر – بيروت.

- معجم لغة الفقهاء - محمد رواس قلعجي - حامد صادق قنيبي - دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨ م.

سادسًا: كتب اللغة بفروعها.

- البلاغة فنونها وأفنانها - علم المعاني، د. فضل حسن عباس –دار النفائس، الطبعة الثانية عشرة ١٤٢٩ هـ.

- تاج العروس لمرتضى الزبيدي (ت١٢٠٥هـ) - دار الهداية.

- تهذيب اللغة، لأبي منصور الأزهري (ت٣٧٠هـ) - دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م

- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، لأحمد الهاشمي (ت١٣٦٢هـ) - المكتبة العصرية، بيروت.

- دلائل الإعجاز، للشيخ عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) - تحقيق: محمود شاكر - مطبعة المدني بالقاهرة، الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية - لأبي نصر الجوهري (ت: ٣٩٣هـ) - تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار - دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧ م.

- العين، للخليل بن أحمد (ت١٧٠هـ) - المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي - ط: دار الهلال.

- القاموس المحيط، لمجد الدين الفيروز آبادي (ت٨١٧هـ) - مؤسسة الرسالة - بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ/ ٢٠٠٥ م

- القصر بالأدوات في القرآن الكريم دراسة إحصائية بلاغية تفسيرية، د محمد رجائي - دار السلف الصالح.

- لسان العرب، لابن منظور (٧١١هـ)، دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.

- المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده (ت ٤٥٨هـ) - تحقيق: عبد الحميد هنداوي - دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠٠ م.

- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، للسيوطي - دار الكتب العلمية - بيروت - ط: الأولى، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.

- مقاييس اللغة، لابن فارس (ت٣٩٥هـ) - دار الفكر - عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

سابعًا: كتب متنوعة:

- إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ) - دار المعرفة - بيروت.

- أدب الدنيا والدين، لأبي الحسن الماوردي (ت٤٥٠هـ) - دار مكتبة الحياة - تاريخ النشر ١٩٨٦م.

- إصلاح المال، لابن أبي الدنيا (ت٢٨١هـ) - مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت - ط: الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

- جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر (ت٤٦٣هـ) - دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٤ م.

- صيد الخاطر، لابن الجوزي (ت٥٩٧هـ) - دار القلم - دمشق، الطبعة: الأولى - ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

فهرس موضوعات البحث

ملخص البحث باللغة العربية..... ١٦٨
ملخص البحث باللغة الإنجليزية..... ١٦٩
مقدمة..... ١٧٠
۞مشكلة البحث:..... ١٧١
۞ حدود البحث:..... ١٧١
۞ الدراسات السابقة:..... ١٧٢
۞ خطة البحث: ١٧٢
المنهج المتبع في البحث: ١٧٣
تمهيد..... ١٧٤
أولاً: المال في اللغة والاصطلاح. ١٧٤
ثانيًا: المال في استعمال القرآن الكريم. ١٧٥
ثالثًا: أوصاف المال، ودلالتها في القرآن الكريم..... ١٧٨
موضع المدح والذم من المال:..... ١٨٧
المبحث الأول: فتنة المال، مفهومها، ومعالم المنهج القرآني في الحديث عنها..... ١٨٩
المطلب الأول: مفهوم فتنة المال..... ١٨٩
أولاً: تحرير معنى الفتنة في اللغة..... ١٨٩
ثانيًا: وجوه استعمال الفتنة في القرآن الكريم..... ١٩٠
المطلب الثاني: تحرير المقال في المقصود بفتنة المال..... ١٩٦
المطلب الثالث: معالم المنهج القرآني في الحديث عن فتنة المال..... ٢٠٢
من أسرار الأسلوب القرآني في آيتي فتنة الأموال والأولاد في سورتي الأنفال والتغابن: ٢١٠

المبحث الثاني: أوجه الفتنة بالمال، وآثارها على الإنسان في ضوء القرآن ٢١٨
المطلب الأول: فتنة المال عند وجوده وفقده وآثارها. ٢١٨
أولاً: فتنة المال عند وجوده (فتنة الغَنِيّ) ٢١٩
ثانيًا: فتنة المال عند فقده (فتنة الفقر) ٢٢٣
المطلب الثاني: فتنة المال من جهتي الكسب والإنفاق وآفات الافتتان بهما. ٢٢٧
أولاً: فتنة المال من جهة الكسب. ٢٢٧
ثانيًا: فتنة المال من جهة الإنفاق. ٢٣٢
أبرز نتائج البحث وأهم التوصيات ٢٣٦
أولاً: أبرز النتائج المستخلصة من البحث: ٢٣٦
ثانيًا: أهم التوصيات: ٢٣٦
أهم المصادر والمراجع ٢٣٧
أولاً: القرآن الكريم. ٢٣٧
ثانيًا: كتب التفسير وعلوم القرآن. ٢٣٧
ثالثا: كتب الحديث وعلومه ٢٤١
رابعا: كتب السير والتاريخ والتراجم ٢٤٢
خامسا: كتب الفقه وأصول الفقه. ٢٤٢
سادسًا: كتب اللغة بفروعها. ٢٤٣
سابعًا: كتب متنوعة: ٢٤٤
فهرس موضوعات البحث ٢٤٥

تم بحمد الله تعالى